Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 5 | No. 4 | Page 385 – 428 |2026 | https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

# The Historian Ali ibn Muhammad ibn ʿUbayd Allāh Al-Abbasi Al-Alawi (d. 297 AH) and His Historiographical Method in The Statecraft of Imām al-Hādī ilā al-Ḥaqq Yaḥyā ibn al-Ḥusayn.

**Hamood Abdullah Yahya Al-Ahnoomi** [1,*]

[1] Faculty of Education - Sana'a University, Sana'a, Yemen.

***Corresponding author:** *h.alahnoumi@su.edu.ye*

**Keywords**

1. al-ʿAlawī
2. The Statecraft of Imām al-Hādī ilā al-Ḥaqq
3. Zaydism
4. History of Yemen
5. Historical analysis

## Abstract:

This study introduces the historian ʿAlī ibn Muḥammad ibn ʿUbayd Allāh al-ʿAbbāsī al-ʿAlawī and examines his work The Life of Imām al-Hādī ilā al-Ḥaqq Yaḥyā ibn al-Ḥusayn. It identifies al-ʿAlawī as the true author of the extant version and explores the concept and style of sīra it represents. Using a historical-analytical method, the study analyzes al-ʿAlawī's approach to collecting, organizing, and critiquing historical events.

The research concludes that this sīra marked a significant development in Zaydī biographical and historical writing in Yemen. Al-ʿAlawī's methodology is characterized by precision, objectivity, and the use of varied sources, including documentary material and poetry. His interpretive and causal analysis, presented in a coherent chronological structure, positions his work as an early example of analytical historiography in Yemen.

The study recommends further investigation into the influence of al-ʿAlawī's sīra on later Yemeni and Zaydī historical sources to assess their reliance on his work and its methodological impact. It also calls for comparative studies between al-ʿAlawī's historiographical approach and those of other contemporary or later historians, aiming to highlight similarities, differences, and unique features that distinguish his contribution to Islamic historical literature.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 5 | No. 4 | Page 386 – 428 | 2026
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

# المؤرخ علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي (ت297هـ) ومنهجه التاريخي في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)

**حمود عبد الله يحيى الأهنومي [1]*،**

[1] كلية التربية - جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.

***المؤلف:*** *h.alahnoumi@su.edu.ye*

**الكلمات المفتاحية**

1. العلوي
2. -سيرة الإمام الهادي إلى الحق
3. الزيدية
4. تاريخ اليمن
5. التحليل التاريخي

## الملخص:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالمؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي ودراسة كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) من حيث تحديد مؤلِّفه في صورته الراهنة، ومن حيث مفهوم السيرة، وأسلوبها وتحليل منهجه في جمع وعرض الأحداث التاريخية ونقدها، وقد اعتمد البحث المنهج التاريخي.

توصَّل البحث إلى عدد من النتائج المهمة، وأبرزها: أن مؤلف سيرة الإمام الهادي إلى الحق بصورتها الراهنة هو علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي، وأن هذه السيرة شكّلت نقلة نوعية في فن السير والتاريخ عند الزيدية في اليمن، كما اتسم منهج العلوي فيها بالدقة والموضوعية والاعتماد على مصادر متنوعة، مع تحليل وتعليل للأحداث في ترتيب زمني متماسك، وتوظيف للوثائق والشعر، مما جعل عمله نموذجا مبكرا للتاريخ التحليلي في اليمن.

وأوصى البحث بإجراء دراسة تحليلية لتتبع أثر سيرة العلوي في المصادر التاريخية اليمنية والزيدية اللاحقة؛ لتقييم مدى اعتمادها عليه وتأثرها في منهجه، وإجراء دراسات مقارنة بين منهج العلوي ومناهج مؤرخين آخَرين معاصرين له أو لاحقين؛ للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف والخصوصية.

**المقدمة:**

يُعَدُّ المؤرخ علي بن محمد بن عبيدالله العباسي العلوي (ت297هـ) واحدًا من أعلام التدوين التاريخي في اليمن خلال القرن الثالث الهجري، وتأتي أهميته من أنه من أوائل المؤرخين اليمنيين زمنيا، ومن أنه أيضا معاصرًا ومؤرِّخًا لحركة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ت298هـ)، مؤسس الدولة الزيدية في اليمن، أما كتابه "سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم" فيُعَدُّ مصدرًا أساسيًّا لمدة حاسمة من تاريخ اليمن الإسلامي؛ إذ دوّن فيه الأحداث التي عاشها وشاهدها، وأسّس لفنِّ كتابةِ ما سمِّيَ بـ(فن السير) التاريخية؛ ممَّا جعل منه مصدرًا مهمًّا للباحثين في التاريخ اليمني على وجه الخصوص، كما كان مُلْهِمًا لكثير من المؤرخين الذين أتوا من بعده ونسجوا على منواله في تأليف (السير) للأئمة اللاحقين.

أسباب البحث ودواعيه:

1-بروز شخصية المؤرخ العلوي العلمية والجهادية وتحقيقه إنجازاتٍ مهمة على الرغم من صغر سنه، وهذا يقدِّم درسًا بأن الإنجازات لا تشترط سنا معينا.

2- أنه لا توجد دراسة أكاديمية واحدة – في حدود علم الباحث – خُصِّصَتْ للمؤرِّخ العلوي أو لمنهجه في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين).

3-رغبة الباحث في الكشف عن منهج المؤرخ العلوي التاريخي في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)، بوصفه أول إمام من أئمة أهل البيت في اليمن.

4- القيمة التاريخية لمصنّفه بوصفه مصدرا أصيلا لتاريخ اليمن السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي في القرن الثالث الهجري.

5- الإسهام في إثراء المكتبة اليمنية والعربية بدراسة نقدية تحليلية للمؤرخ ومنهجه.

**مشكلة البحث:**

تكمن المشكلة الأساسية في الغموض الذي يحيط بشخصية المؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي، وتاريخ وفاته ومكانها وسببها، وهل هو مؤلف (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) في صورته التي وصلت إلينا أم غيره، وكذلك في منهجه التاريخي في هذا الكتاب؛ إذ تحتاج المكتبة التاريخية لدراسة متكاملة تكشف عن المنهجية التي اتبعها في تاريخه لحركة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وموقفه من الأحداث التي عاصرها. والمصادر التاريخية تتعامل مع الكتاب غالبًا بوصفه مرجعًا سرديًا للأحداث دون تحليل منهجي لمؤلفه أو نقد لطريقته في العرض، مما يترك فراغًا علميًّا في هذا الحقل.

**أهمية البحث:**

1- يسهم في دراسة وتحليل مصدر مهم من مصادر تاريخ اليمن في القرن الثالث الهجري، مما يساعد على فهم أعمق للتحولات السياسية والمذهبية في تلك المدة في اليمن.

2- يقدم نموذجًا لدراسة منهج المؤرخين اليمنيين الأوائل، والكشف عن آليات التوثيق التاريخي في مرحلة مبكرة من التاريخ الإسلامي واليمني، وبذلك

يتيح إجراء مقارنة بينه وبين المناهج التاريخية السابقة والمعاصرة.

3- يساعد على إحياء تراثِ مؤرِّخٍ يمني مغمور، ويسهم في فهم المدارس التاريخية في اليمن الإسلامي وتوظيف ذلك في كتابة التاريخ اليمني الحضاري.

4- يقدم حلولا لمشكلات تاريخية مزمنة فيما يتعلق بالمؤلف، ومنها حسم الاختلاف حول مؤلفه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق) وغير ذلك.

**أهداف البحث:**

1-التعريف بالمؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي وسيرته العلمية والإدارية والجهادية.

2-دراسة كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) من حيث تحديد مؤلفه في صورتها الراهنة ومن حيث مفهوم السيرة وأسلوبها.

3-تحليل منهجه في جمع وعرض الأحداث التاريخية ونقدها.

**الدراسات السابقة:**

لم أطَّلِعْ -في حدود علمي- على أيِّ دراسة حول المؤلف ولا حول منهجيته التاريخية في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)، سوى الدراسة التي قدّمتها أطروحةً للدكتوراه تحت عنوان (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ت298هـ تأليف علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي ت297هـ: دراسة وتحقيق)؛ إذ ترجمْتُ فيها للمؤلّف العلوي، وتطرّقْتُ لمنهجه التاريخي في سيرة الإمام الهادي إلى الحق بشكل مختصر، غير أن ما يميز هذا البحث هو أنه جرى التوسّع فيه، واستقصاء الشواهد بشكل أفضل، وإبراز الدروس والعبر من الأحداث بالشكل الذي يجعله مفيدا وملهما، كما أضفْتُ فيه ثلاثة مطالب أساسية ومهمة؛ الأمر الذي يجعل هذا البحث متضمِّنًا إضافاتٍ جديدةً وأصيلةً وذات أهمية بالغة.

**منهج البحث:**

يعتمد البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها واستخلاص العلاقة بينها، وعلى المنهج الاستنباطي الاعتباري القائم على استخلاص العبر والدروس والعظات من الأحداث وتقديمها للقارئ، ويُعَدّ هذا المنهج من أرقى مناهج كتابة التاريخ – من وجهة نظر الشهيد القائد السيد / حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه- لأنه يحوِّل التاريخ من مجرد حكايةٍ للماضي إلى مدرسةٍ للحاضر والمستقبل.

**تقسيم البحث:**

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

1-المقدمة: تتضمن أسباب ودواعي البحث ومشكلته وأهميته وأهدافه ومنهجه وتقسيمه.

2-المبحث الأول: التعريف بالمؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي، ويتضمن:

المطلب الأول: نسبه وأسرته.

المطلب الثاني: ولادته ونشأته.

المطلب الثالث: علمه وصفاته.

المطلب الثالث: مهامه الإدارية والعسكرية مع الإمام الهادي إلى الحق.

المطلب الرابع: وعيه التاريخي.

المطلب الخامس: وفاته.

المطلب السادس: الدروس والعبر المستخلصة من هذا المبحث.

3-المبحث الثاني: منهجه التاريخي في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)، ويتضمن: المطلب الأول: أدلة كونه مؤلف سيرة الإمام الهادي إلى الحق.

المطلب الثاني: مفهوم السيرة والتأليف فيها.
المطلب الثالث: أسلوبها ولغتها.
المطلب الرابع: منهجها التاريخي.
المطلب الخامس: تقييم منهجه التاريخي.
المطلب السادس: الدروس والعبر المستخلصة من هذا المبحث.
4-الخاتمة، وتتضمن أبرز النتائج والتوصيات.
5- المصادر والمراجع.

## المبحث الأول: ترجمة المؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

يُعَدُّ التعريف بالمؤرخ وأثر بيئته العلمية والفكرية والسياسية خطوةً أساسية لفهم منهجه في التأريخ وتحليل نتاجه المعرفي؛ فالمؤرخ لا يكتب بمعزلٍ عن سياقه، بل يتأثر بمدرسته الفكرية، وأحداث عصره، وموقعه الاجتماعي والسياسي؛ الأمر الذي ينعكس على أسلوبه في انتقاء الأخبار، وصياغة الوقائع، وتفسير الأحداث، ومن هذا المنطلق، يتناول هذا المطلب شخصية المؤرخ علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي (ت297هـ).

تكمن أهمية دراسة شخصيته في أنه عاش في مدة حاسمة من تاريخ اليمن والعالم الإسلامي، وكان شاهد عيان على قيام الدولة الزيدية في اليمن بقيادة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، وهو الذي دوَّن سيرته في كتابه الذي أصبح مصدرًا أساسيًّا لتلك الحقبة، وعلى رغم المكانة التي يشغلها كتابه، إلا أن شخصية المؤرخ نفسه ظلت غامضة ومغمورة في المصادر التاريخية المتاحة؛ إذ لا نكاد نعرف عنه سوى النزر اليسير، مما يضع الباحث أمام إشكالية حقيقية تتعلق بتتبع ملامح شخصيته العلمية ومكانته الإدارية والعسكرية والاجتماعية.

لذلك يأتي هذا المطلب ليعيد بناء ترجمة لشخصية المؤرخ من خلال النتف المتناثرة من المعلومات التي وردت بشكل أساسي في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)، ومحاولة فهم الخلفية التاريخية والفكرية التي شكّلت منهجه، وسيتناول هذا المطلب نسبه الشريف وبيئته الأسرية والعلمية، وعلمه وصفاته، ومهامه الإدارية والعسكرية الجهادية التي كُلِّفَ بها من قبل الإمام الهادي إلى الحق، ووعيه التاريخي، ثم وفاته والإشكالية المتعلقة بها في المكان والزمان والسبب.

### المطلب الأول: نسبه وأسرته:

هو علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله[1] بن عبيد الله[2] بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن

(1) ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت1092هـ): مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تح: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط1، 1425هـ/ 2004م، ج3، ص322، 356، ويحيى بن الحسين: ويحيى بن الحسين، يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1100هـ): المستطاب، مخطوط بمكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور، في 219 لوحة، تاريخ النسخ 1094هـ، لدى الباحث منه نسخة مصورة، ل24/ ب، وابن القاسم، إبراهيم بن القاسم ابن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت1152هـ): طبقات الزيدية الكبرى، تح: عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، 1421هـ/ 2001م، مج2، ص795.

(2) البخاري، سهل بن عبدالله، أبو نصر (كان حيا سنة 340هـ): سر السلسلة العلوية في أنساب السادة العلوية، المطبعة الحيدرية، النجف، 1381هـ/ 1962م، ص93، وابن طباطبا، إسماعيل بن إبراهيم بن ناصر (ق5هـ): منتقلة الطالبية، تح: محمد مهدي الخراسان، المطبعة الحيدرية، النجف، ط1، 1388هـ/ 1968م، ص357، وابن عنبة، أحمد بن علي الحسني الداوودي (ت828هـ): عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي

أبي طالب[3]، جدُّه الأعلى هو العباس بن علي بن أبي طالب الشهيد بكربلاء مع أخيه الإمام الحسين عليه السلام[4]، وابنه عبيد الله بن العباس، كان "يوصَفُ بالكمال والمروءة والجمال"[5]، ولي إمرة المدينة للعباسيين[6]، وكان له "كتبٌ" اعتمد عليها والد المؤلف في بعض المرويات التي أوردها المؤلف في هذه السيرة[7]، وابنه الحسن بن عبيد الله "روى الحديث"[8]، وابنه عبيد الله بن الحسن ولاه المأمون (ت218هـ/833م) على مكة والمدينة والقضاء فيهما، كما ولاه على اليمن، وكان كبير القدر[9]، وابنه عبد الله بن عبيد الله "كان المأمون يسميه الشيخ ابن الشيخ"، وكانت تحته فاطمة بنت إبراهيم، أخت الإمام القاسم بن إبراهيم (ت246هـ/860م)(10)، ولعبد الله هذا اثنان وعشرون ابنا، "أعقب منهم عشرة"، ومنهم عبيد الله[11] جد المؤلف.

أما أسرته القريبة فهم:

أولا- أبوه: كان رجلا فاضلا عالما مجتهدا شجاعا كريما[12]، وله مسائل أرسلها إلى الإمام الهادي إلى الحق[13]، وكان صهره؛ إذ تزوج ابنته فاطمة(14)، وكان أحد رجلين في المدينة اختصَّهما الهادي بالدعوة للخروج معه إلى اليمن في ذي القعدة 283هـ/ ديسمبر 896م[15]، فرافقه في ذلك الخروج، ثم ولاه على وسحة[16]، وصعدة، ونجران، وهو أحد مصادر هذه السيرة، فقد روى عنه ولده المؤلف كثيرا من الأخبار والأقوال والحوادث، بل إن المؤلف أورد عن أبيه أنه كان لديه إخلاص للهادي إلى الحق ومحبة عارمة، وأنه كان قد دوَّن كثيرا من أحوال الهادي إلى الحق

طالب، تح: مهدي الرجائي، قم، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص219، 222، 224، ويحيى بن الحسين: المستطاب، ل24/ ب.

(3) العلوي، علي بن محمد العباسي (ت297هـ): سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين، مخطوطة وقف على مسجد شهارة، يوجد منها صورة في مكتبة مؤسسة الإمام زيد بن علي الرقمية، في 147 لوحة، تاريخ النسخ 1069م، ل8/ أ، وهي التي أرمز لها بـ(الأصل)، والبخاري: سر السلسلة العلوية، ص93، وابن طباطبا: منتقلة الطالبية، ص200، 357، وابن عنبة: عمدة الطالب الصغرى، ص219، 222، 224، ويحيى بن الحسين: المستطاب، ل24/ ب، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج3، ص323، وابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج2، ص795.

(4) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص89.

(5) العمري، علي بن محمد، ابن أبي الغنائم العلوي (ق5هـ): المجدي في أنساب الطالبيين، تح: أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي العامة، قم، ط2، 1422هـ، ص436.

(6) الرازي، محمد بن عمر، فخر الدين (ت606هـ): الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تح: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، قم، ط2، 1419هـ، ص189.

(7) ل8/ أ، 11/ أ.

(8) العمري: المجدي في أنساب الطالبيين، ص436.

(9) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص90، والعمري: المجدي في أنساب الطالبيين، ص445، والرازي: الشجرة المباركة، ص198، وابن عنبة: عمدة الطالب الصغرى، ص219.

(10) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص91.

(11) البخاري: سر السلسلة العلوية، ص94.

(12) يحيى بن الحسين: المستطاب، ل24/ ب.

(13) الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين (ت298هـ): مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، من مسائل محمد بن عبيد الله، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط1، 1421هـ/ 2001م، ص608- 609.

(14) العلوي: السيرة، ل99/ ب.

(15) العلوي: السيرة، ل10/ ب.

(16) وسحة: قرية من خولان القد، وخولان هي خولان بن عمرو بن عامر بن الحاف بن قضاعة، ووسحة تتبع اليوم عزلة عريمة، مديرية حيدان، غرب جنوب مدينة صعدة، وقد قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غيّر اسمها من (وسخة) إلى (وسحة). ينظر: الهمداني، الحسن بن أحمد، أبو محمد (ت بين عامي 350 و360هـ): الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1429هـ/ 2008م، ج1، ص264- 265، 298- 299، وصفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1410هـ/ 1990م، ص128، 225، 237، والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: التعداد العام ديسمبر 2004م، محافظة صعدة، نسخة إلكترونية، ص126.

وأقواله[17]، وكان يقارن تلك الأحوال والآداب بما كان قد كتبه من آداب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[18]؛ الأمر الذي يشير إلى تطلُّعِه ورغبته بتسجيل وتدوين أخبار الإمام الهادي إلى الحق بوصفه وريث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإمام زمانه الذي يمضي على خطاه، هذا التدوين الذي ظهر بشكل واضح عند ولده المؤلف، ولهذا فليس غريبا أن المؤلف بمجرد وصوله إلى صعدة في أول سنة 286هـ/899م[19]، سأل أباه وغيره عن جميع ما فاته "من أخبار يحيى بن الحسين"[20].

وقد اشتملت هذه السيرة على أخبار وافرة لوالد المؤلف وإنجازاته وأعماله، وانتهى به المطاف شهيدا في 22 ذي الحجة 295هـ/ 21 سبتمبر 908م، على يد متمردي قبيلة بني الحارث بن كعب[21] في مدينة الهجر بنجران[22]، ودفن بجوارها[23]، وكان مقتله في حادثة مؤسفة وصفها ابن أبي الرجال[24] بـ"قضية مُشْجية شبيهة بيوم الطف"، وذكر أنه قد ثأر به الهادي "فأوقع ببني الحارث ومَنْ ظاهرهم".

ثانيا- أولاده: ذكرت السيرة[25] عَرَضًا أنَّ للمؤلف ولدَيْن هما: الحسن، ولد في حوالي 289هـ/ 901م، وأنه تعرّض للاضطهاد من متمرّدي بني الحارث الذين قتلوا جده، وأنه طَلَبَ منهم أن لا يُمَثِّلوا بجثة جدِّه بعد مقتله، لكنَّ أحدَهم رماه بسهم في بطنه، فغُشِيَ عليه[26]، كما ذكَرَتْ أن له ولدا آخَر يدعى الحسين، وأن عمره كان يوم مقتل جده محمد بن عبيد الله أربع سنوات، أي: أنه ولد في حوالي 291هـ/ 903م، وأنه أيضا هو الآخَر قال لبني الحارث: "يا أعداء الله قتلتم جدي، وسلبتم أهلي... إني لأرجو أن نقتلكم بالهادي"، فلطمه أحد قادتهم، وطرحه أرضا، فقام وأخذ قبضة من التراب، فرمى بها وجه ذلك القائد[27].

ثالثا- إخوته: ذكر المؤلف نفسه[28] إخوته في قصيدة أنشأها في رمضان 294هـ/ يونيو 907م، وأكبر

(17) على سبيل المثال ينظر: العلوي: السيرة، ل15/أ- ب، 16/ ب، 17/ أ.

(18) العلوي: السيرة، ل39/ ب.

(19) العلوي: السيرة، ل38/ أ.

(20) العلوي: السيرة، ل41/ أ.

(21) بنو الحارث بن كعب: إحدى قبائل مذحج الكبيرة، وهم بطون عديدة وكثيرة، كانوا ينزلون على ضفاف وادي نجران، وكان منهم بنو خيثمة، ورئيسهم الحارث بن حميد، ومنهم بنو الحماس، وربيعة، وبنو عبد المدان، وبنو قطن، وغيرهم. وكان بنو الحارث على حرب فيما بينهم من جهة، وعلى حرب مع قبائل همدان النجرانية (وادعة ويام وشاكر) من جهة أخرى، وقد ارتبط بنو الحارث بعلاقة تاريخية مع بني العباس، فقد كانت أمُّ أولِ خليفة عباسي، وهو أبو العباس السفاح، مدانية حارثية، وكان المعاصرون للإمام الهادي إلى الحق من بني الحارث يستشعرون أهمية هذه العلاقة التاريخية، وينطلقون منها في مواقفهم إزاءه. العلوي: السيرة، ل79/أ، 101/ ب، 115/ أ، 121/ أ، و والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص228- 229، 283، والطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير الصنعاني (ت نحو 450هـ): تاريخ صنعاء، تح: عبدالله الحبشي، مكتبة السنحاني، صنعاء، ص40، 41، 46، 47.

(22) العلوي: السيرة، ل129/ ب. والهجر: القرية بلغة حمير والعرب العاربة كما يقول الهمداني، ورغم أنه ذكر أنها موضعان، الهجر القديمة والحديثة، فإن من المؤكد أنها في الموضع الأثري، المسمى اليوم بالأخدود، وكان يسكنها المدانيون من بني الحارث، وأخلاط آخرون، ومنهم أهل الكتاب، وقد اتخذ منها الإمام الهادي إلى الحق مقرا إداريا لمخلاف نجران. العلوي: السيرة، ل56/أ- ب، 117/ أ، والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص167، 283.

(23) داخل مدينة الأخدود الأثرية. ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج4، ص326.

(24) مطلع البدور، ج3، ص323، ج4، ص326.

(25) ذكرت في (ل132/ ب) أن عمره كان ست سنوات يوم مقتل جده محمد بن عبيد الله في آخر سنة 295هـ.

(26) العلوي: السيرة، ل132/ ب.

(27) العلوي: السيرة، ل133/ أ.

(28) السيرة، ل119/ ب.

هؤلاء الإخوة هو القاسم بن محمد الذي كان يشارك أخاه المؤلف في تسيير دوريات الأمن في منطقة نجران، بل كان المؤلف حريصا على تسجيل دور أخيه القاسم الجهادي معه في مواضع عديدة[29]؛ الأمر الذي يشير إلى تقديره لكفاءة أخيه القاسم العسكرية والقتالية، وقد نجى من المذبحة التي تعرَّض لها والدهما؛ إذ كان مع أخيه المؤلف خارج مدينة الهجر حينها.

ولعل ثالثهما جعفر الذي كان قد بلغ الحلم، وكان أحد المقاتلين بجانب أبيه، وكان قد أمره والده – قبيل مقتله – أن يخرج مع أخويه علي والقاسم عن الهجر إلى الحَضَن[30]؛ لذا فقد نجا هو الآخر من تلك المذبحة الغادرة.

وأما أخوه موسى بن محمد فقد كان آنذاك مع أبيه، وكان عمره 10 سنوات فقط، ويظهر أنه كان يشترك في بعض المهمات[31]، وهذا ما حمل أحد قادة بني الحارث[32] أن يأمر بقتله، لولا أن محمد بن منجاب الحارثي المداني أخفاه عنده[33]، ثم بعد ذلك صار عالما، وصفه يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1100هـ/1688م) بـ"العالم المجتهد"[34]، ومن إخوته أيضا إسماعيل بن محمد، الذي كان عمره غداة مقتل والده خمس سنوات[35].

لقد كان لأسرة مؤرخنا العلوي دورٌ كبير في نصرة الإمام الهادي إلى الحق، حتى أن خصومهم بني الحارث كانوا قد قرَّروا في عام 294هـ/ 906م، أن يقتلوا أولاد العلوي، "وجميع بني عمه"، وأصحابه[36]، وقد كرَّرَ المؤلف في أكثر من قصيدة افتخاره بهذا الدور، مشبِّها موقفهم مع الهادي إلى الحق بموقف جدِّهم العباس بن علي مع أخيه الإمام الحسين في كربلاء[37].

وخلاصة القول، إن دراسة نسب المؤرخ علي بن محمد العباسي العلوي وأسرته تكشف عن أسرةٍ عريقةٍ جمعت بين شرف النسب وعلوّ الهمة، وأسهمت بدورٍ محوريٍّ في نصرة الإمام الهادي إلى الحق وفي توثيق سيرته ومسيرته، فامتزج فيها العلم بالجهاد، والرواية بالتجربة، والوفاء بالعقيدة. وهذا ما سهم في صياغة شخصية المؤلف، وأهّله لأن يكون واحدًا من أبرز مؤرخي تلك المرحلة، الذين خدموا الحقيقة بصدق الإيمان وحرارة الانتماء.

**المطلب الثاني: ولادته ونشأته:**

ذكر المؤلف عن نفسه أنه كان في ذي الحجة 283هـ/ يناير 897م "غلاما لم تجب لله سبحانه" عليه حجة، وأن أباه أمره بلحاقه إلى اليمن بعد أن يبلغ[38]، وهذا يشير إلى أن المانع له من مرافقة والده

(29) العلوي: السيرة، ل79/ أ، 89/ أ، 118/ ب، 120/ أ، 127/ أ.

(30) العلوي: السيرة، ل127/ أ. و الحضن: قال الهمداني (صفة جزيرة العرب، ص283): "دار لوائلة بن شاكر من بكيل، وجيرة لهم من ثقيف"، ولا يزال معروفا إلى اليوم، ويقع في الضفة الجنوبية لوادي نجران، ويبعد عن مدينة الأخدود غربا بحوالي 5 كم. قوقل: برنامج خرائط، على الرابط: https://www.google.com/maps.

(31) السيرة، ل119/ ب.

(32) منصور بن هشام الدهي: من قادة بني الحارث المتشددين في معارضة الإمام الهادي إلى الحق، وشارك في مقتل واليه محمد بن عُبَيْدِ الله العلوي، والد مؤرخنا، ثم عدا على بعض أطفاله باللطم، ووطئ جثته وجثث أصحابه بالخيل. العلوي: السيرة، ل123/أ، 127/أ، 131/أ، 132/ب، 133/أ.

(33) لم أجد له ترجمة خاصة، ولكن تذكر السيرة أنه كان له موقف مروءة وشهامة؛ إذ قام برعاية أطفال وحرم والد المؤلف بعد مقتله "بأحسن قيام". العلوي: السيرة، ل133/ أ.

(34) المستطاب، ل26/ أ.

(35) العلوي: السيرة، ل133/ أ.

(36) العلوي: السيرة، ل121/ أ.

(37) السيرة، ل116/ أ.

(38) السيرة، ل10/ أ.

إلى اليمن حينذاك هو قصور عمره عن سن التكليف، ثم ذكر أنه هاجر إلى الهادي في ذي الحجة 285هـ/ يناير 899م[39]، أي: بعد سنتين فقط من التاريخ السابق؛ الأمر الذي يرجِّحُ أنه هاجر بعد بلوغه خمس عشرة سنة، وهذا يعطي إشارة بأنه قد وُلِد في عام 270هـ/ 883م تقريبا.

وُلِدَ المؤلف في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونشأ بها، وهي المدينة التي يبدو أن الأضواء السياسية الرسمية كانت آنذاك قد بدأت في الانحسار عنها منذ استيلاء العلويين بني الأخيضر عليها[40]، ويبدو أنها بقيت تحت سيطرتهم حتى القرن 4هـ/10م، خلا بعض السنين التي استعاد العباسيون حكمها فيها[41]، ويبدو أن شيئا من الفتن الداخلية كانت تعصف بها، ولا سيما بين الجعفريين (ذرية جعفر بن أبي طالب)، والعلويين (ذرية أخيه الإمام علي)، كما حدث في كل من سنتي 266هـ/879م، و269هـ/882م(42)، غير أن الوضع ربما استقر بعد ذلك؛ إذ هناك إشارة إلى عودة الأمور إلى طبيعتها وتراجع الناس إلى السكنى فيها في عام 272هـ/885م[43]، من جانبٍ آخر فإن العلويين في المدينة إلى جانب ما وقعوا فيه من فتن داخلية مع أبناء عمومتهم الجعفريين فإنهم أيضا كما يبدو قد انشغلوا بشكل واسع بتصريف حياتهم الخاصة، بعيدا عن الاهتمام بالشأن العام، وانطلقوا في إحياء الأراضي وزراعتها، كما وصفهم الإمام الهادي إلى الحق في رسالته التي بعثها إليهم شعرا[44].

تأسَّست في المدينة أكبر مدرسة تاريخية عُنِيَتْ بكتابة التاريخ، وشهدت ظهور مؤرخين كبار، مثل عروة بن الزبير بن العوام (ت94هـ/812م)، الرجل الأول في تلك المدرسة[45]، وصولا إلى الذي برزت لديه وحدة الفكر التاريخي بشكلٍ جلي، وهو محمد بن إسحاق المطلبي (ت151هـ أو 152هـ/ 768م أو 769م)، صاحب "أقدم سيرة نبوية محفوظة"[46]، وصلت إلينا، ومثل الواقدي محمد بن عمر (ت207هـ/ 823م) الذي جمع مادة ضخمة في التاريخ ودوّنها تدوينا حسنا، وممّا يلفت أن من بين عناوين مؤلفاته "سيرة أبي بكر"[47]؛ إذ استخدم مفردة (سيرة) في عنوانه لشخصٍ غير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد انحسر النشاط العلمي التاريخي بعد ذلك عن المدينة لصالح دمشق وبغداد عاصمتي الدولتين الأموية والعباسية، فظهرت مدارس الشام والعراق؛ إذ هاجر إليها العلماء من المدينة وغيرها، ولعل أبرز مثال على ذلك الواقدي وتلميذه محمد بن سعد الزهري صاحب الطبقات (ت230هـ/844م) حيث هاجرا إلى بغداد[48].

ومع ذلك فقد بقي في منتصف القرن الثالث من المؤرخين من يُذَكِّر بهذه المدرسة، ومنهم الزبير بن بكار الزبيري (ت256هـ/869م)، الذي صنّف

(39) السيرة، ل37/ ب.

(40) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، أبو الحسن الجزري، (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م، ج6، ص231.

(41) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص432، 435.

(42) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص370، 418.

(43) ابن الأثير: الكامل، ج6، ص438.

(44) العلوي: السيرة، ل106/ أ، 108/ ب- 109/ أ.

(45) مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص152- 153.

(46) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص160- 162.

(47) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص163- 165.

(48) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص166.

(أنساب قريش)، ويبدو من بعض مؤلفاته أنه جعلها متمحورة حول أشخاص محدَّدين مثل كتبه (أخبار ابن ميادة)، و (أخبار حسّان)، و (أخبار عمر بن أبي ربيعة)، وغيرها(49)، ومنهم تلميذه يحيى بن الحسن العقيقي الحسيني العلوي (ت277هـ/ 890م) الذي "يقال: إنه أول من صنف في أنساب الطالبيين، وله كتاب أخبار المدينة"، وغيرهما[50].

في هذه البيئة السياسية والثقافية والاجتماعية نشأ المؤلف العلوي العباسي، وترعرع في ظل أسرة كريمة يبدو من تاريخها انشدادُها إلى العلياء وتحقيق الأمجاد، كما يدل على ذلك أدوار أسلافه، ولا بد أن تلك البيئة عكست نفسها على شخصية الكاتب في طموحه السياسي، واهتماماته الثقافية والتاريخية. ويبدو أن المؤلف قد تلقى تعليمه الأولي في المدينة بتعلم القرآن والأدب والثقافة العامة المتداولة في ذلك الزمان، ولا بد أنه تعلم دروس الفقه والأحكام والأنساب لدى أهل بيته في المدينة المنورة، شأنه في ذلك شأن شباب العلويين في ذلك الوقت في المدينة المنورة وما حولها. يتبين بما سبق أن مؤلفنا العلوي العباسي ولد في بيئةٍ علميةٍ عريقةٍ وسياسيةٍ، ونشأ في أجواء المدينة المنوّرة التي كانت آنذاك مهدَ العلم والتاريخ، فصاغت نشأتُه الأولى شخصيّتَه العلمية والفكرية، وهيّأته ليكون شاهدًا على التحوّل التاريخي الذي ربط بين مدرسة المدينة التاريخية وتراث الإمامة الهادوية في اليمن.

**المطلب الثالث: علمه وصفاته:**

لم يشأ العلوي أن يتخلى عن طلب العلم حتى بعد وصوله إلى اليمن، فقد وقع في مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق[51] "من مسائل علي بن محمد العلوي مما سأل عنه الهادي إلى الحق"، وهناك مخطوطة عُثِرَ عليها تضمَّنت عشرات الأسئلة وجّهها العلوي إلى الإمام الهادي، وكانت تدور حول الإلهيات والتوحيد والعدل والآيات التي كان المشبِّهة والمجبرة يتعلقون بها، وغير ذلك[52]؛ الأمر الذي يفيد استمراره في التحصيل العلمي.

وصفه ابن أبي الرجال[53] بـ"الشريف العالم الرئيس جمال الإسلام"، ووصفه صاحب الطبقات الكبرى[54] بأنه: "أحد علماء الزيدية". وتشير كتاباته في السيرة نفسها إلى مكانته الثابتة في العلم والمعرفة، وأنه كان ذا خبرة اجتماعية أيضا، وبالمقارنة بين ما كتبه عن أنساب القبائل اليمنية في هذه السيرة بشكل مختصر جدا وما أورده المؤرّخ والنسّابة اليمني الهمداني نجد تطابقا تاما يكشف عن قدرته على الإلمام بأنساب اليمنيين سريعا. وتبيّن أشعاره أنه كان ذا قدم راسخة في الأدب. وحينما أصبح قائد شرطة نجران انعكس اهتمامُه بجمع المعلومات الأمنية على كتاباته الدقيقة والمفصَّلة.

ولم نطلع على أيِّ تأليفٍ له آخر غير هذه السيرة، على الرغم من أنه وعد بتصنيف "كتاب مفرد" يدل

(49) الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م، ج3، ص42.

(50) القلقشندي، أحمد بن علي، أبو العباس الفزاري (ت821هـ): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، ج4، ص298، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج4، ص492، والوجيه، عبدالسلام عباس: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط2، 1439هـ/ 2018م، ج2، ص421.

(51) الهادي إلى الحق: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص621.

(52) الهادي إلى الحق: مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، ص153– 171.

(53) مطلع البدور، ج3، ص322.

(54) ابن القاسم، مج2، ص795.

على إمامة الإمام الهادي إلى الحق، "والاحتجاج عليه بما لا يُدْفَع"[55]، إلا أننا لم نظفر بكتاب من هذا النوع منسوب إليه، فلعله ضاع في أدراج التاريخ أو مكتبات المخطوطات، وربما وافته المنية ولمَّا تتحقق رغبته تلك، هذا وقد نصَّت بعض المصادر التاريخية على توليه قضاء نجران[56].

ويتبين من خلال مواقفه وكتاباته وأشعاره إخلاصُه الشديد للإمام الهادي إلى الحق ومشروعه، وأنه كان – مثل أبيه – مستعدا للتضحية بنفسه في سبيله، وكان معتزًّا بهذا الإخلاص، ومما يدل على ذلك اعتزازُه بأنه سيفٌ من سيوف الإمام الهادي إلى الحق؛ إذ قال: "وأنا عليٌّ سيفُه لعدوه"[57].

ومن خلال المهمات التي أُسْنِدَتْ إليه من قبل أبيه ومن قبل الإمام الهادي إلى الحق نفسه يظهر أنه كان يتمتع بكفاءة إدارية وعسكرية جعلته محلَّ ثقتهما، وأنه كان شجاعًا ذا تدبير، نجح في كثير من مهماته بشكل دقيق، كما كان ذا عدل وإنصاف لا يحابي أحدًا حتى ولو كان من أصحابه[58]، وكان شاعرًا فصيحًا، ينضح شعرُه بالفخر بالوفاء والشجاعة والمضي على نهج آبائه والفخر بهم وعلو الهمة والاستلهام التاريخي المحفِّز[59].

وشعره يدل على شاعرية منفتحة، فقد افتتح بعضَ قصائده بالغزل والوصف الدقيق للنساء الجميلات، كما يدُلُّ على حسّ شاعريٍّ مرهَف، وذوق عالٍ ملتزم، وعلى فصاحةٍ وبلاغةٍ[60]. وقد كان يحفِّزه خيالٌ واسع،

أما صفاته فالذي يظهر أن العلوي كان شخصية قوية وذا بنية مكتملة وناضجة مكّنته من القيام بأداء مهماته العسكرية والإدارية باقتدار، كما نستشف ذلك من شعر الإمام الهادي إلى الحق لمَّا رثاه بعد موته بقوله:

"يطعن الطعنة خوَّارة

كأنها طعنة جسّاس[57]"[58].

وطموحٌ متّقِد بتملُّكِ الأرض، والسيطرة على العالم[61]، لكنه مع ذلك كان صادقا تدل الروايات التي نقلها في سيرته أنه كان دقيقا وصادقا يرتاح للحقيقة ويضعها كما هي، وقد سجَّل في حالاتٍ عديدةٍ أحداثا لم يستح من تسجيلها[62].

إن التحاقه المبكِّر في السنة الخامسة عشرة من عمره بالجهاد مع الإمام الهادي إلى الحق ناتج عن شعور قوي بالمسؤولية جعله يلبي نداء ذلك الإمام، ونصرة دين الله، وناتج عن إيمان عميق بوجوب الحجة عليه، ولذلك فما إن قابل أباه حتى أسرع إلى سؤاله عن كيفية البيعة للإمام الهادي إلى الحق ليحفظها ويسجلها، ويشير جمعه لأخبار الإمام الهادي إلى الحق عقب وصوله اليمن مباشرة وأيضًا وسِنُّه الصغيرة إلى تطلُّعٍ جادٍّ، "ونبوغٍ مبكر، وهمة عالية"، وأنه كان عظيم الإخلاص لهذه الدولة التي أقامها الهادي إلى الحق، "وليس ذلك فحسب، بل إنه كان يتحرَّى فيما ينقله أو يسمعه، أو يسجله من أخبار، وأنه كان ذا

(55) العلوي: السيرة، ل43/ ب.
(56) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج3، ص323، وابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج2، ص795.
(57) العلوي: السيرة، ل116/ أ.
(58) العلوي: السيرة، ل120/ أ.
(59) العلوي: السيرة، ل116/ أ، 119/ ب.
(60) العلوي: السيرة، ل115/ ب– 116/ أ.
(61) العلوي: السيرة، ل100/ أ.
(62) العلوي: السيرة، ل39/أ– ب.

مزاجٍ علميٍّ، وحسٍّ أدبي، وله طموحاتٌ ومشاريعُ في حقول الأدب والسياسة والتأليف"[63].

بما سبق نخلص إلى أن مؤرخنا العلوي كان شخصيةً علميةً جمعت بين عمق الفكر وسداد الرأي، وبين الإيمان الصادق والولاء للإمام الهادي إلى الحق. وجمع في شخصه العالمَ والكاتبَ والقائدَ والشاعرَ، فخلّد اسمه في سجلّ تاريخ اليمن، وترك أثرًا باقيًا يدل على علمه، وإخلاصه، وعلو همته، وسمو مقصده في خدمة الدين وإحياء النهج العلوي الأصيل.

**المطلب الرابع: مهامُّه الإدارية والعسكرية مع الإمام الهادي إلى الحق:**

قرَّر المؤلف الهجرة إلى الهادي إلى الحق بعد بلوغه الحُلُمَ في ذي الحجة 285هـ/ يناير 899م، ثم وصل إلى صعدة في أول سنة 286هـ/899م مع قافلة الحجاج اليمنيين وحوالي 50 مهاجرا من طبرستان(64)، في الوقت الذي كان فيه والده واليًا على صعدة(65)، وبمجرد وصوله صعدة كلَّفه الإمام الهادي إلى الحق بالبقاء مع أبيه(66)، ولعلَّ أولَ لقاءٍ بينه وبين الإمام الهادي إلى الحق كان في جمادى الآخرة 286هـ/ يونيو 899م في مذاب(67)، وهناك بايعه[68])، وقد بقي مع أبيه في صعدة خلال عام 286هـ/899م، ففي حرب الهادي إلى الحق بنجران في ذي الحجة 286هـ/ ديسمبر 899م كان المؤلف مع والده وحيدَيْن في مواجهة تمرُّد الأكيليين[69] في صعدة، ثم خرجا منها إلى قرية الغيل[70].

وعلى الرغم من أنه في جمادى الأولى سنة 287هـ/ مايو 900م وُلِّيَ والده على نجران[71] إلا أن المؤلف بقي في عمله بصعدة قائدا لشرطتها، وقد تولَّى أثناء ذلك معاقبة المتمرِّدين الأكيليين بأمر الإمام الهادي إلى الحق(72)، كما نفَّذ قيادة حملة على المهاذر[73]

(63) الشامي، أحمد بن محمد: تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، منشورات العصر الحديث، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م، ج1، ص132.

(64) طبرستان: منطقة جنوب بحر الخزر (قزوين)، تعرف اليوم بـ(مازندران)، ومن أعيان مُدُنها (آمُل)، وهي اليوم إحدى محافظات شمال إيران. الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج4، ص13، ومؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م، ص117.

(65) العلوي: السيرة، ل37/ ب- 38/ أ.

(66) العلوي: السيرة، ل38/ أ.

(67) مذاب: وادٍ شهير في جنوب مديرية الصفراء، صعدة، وشمال مديرية حرف سفيان، عمران، وهو اليوم يشكل إداريا عزلة جنوب مديرية الصفراء. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص161، 280، والمقحفي، إبراهيم: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط5، 1432هـ/ 2011م، مج3، ص1828- 1829.

(68) العلوي: السيرة، ل42/ أ. وقد خلط بروكلمان (بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، ط3، دار المعارف، القاهرة، ج3، ص85) بين المؤلف وأبيه؛ إذ ذكر أن المؤلف بايع الإمام الهادي إلى الحق سنة 283هـ/ 896م، "حيث ذهب وهو غلام إلى أبيه الذي كان حينئذ قائدا في صيدا" [يقصد صعدة، وهي خطأ من المترجم]، وانتقل هذا الخلط والخطأ إلى الدكتور شاكر مصطفى في كتابه (التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص330).

(69) الأكيليون: فرع من قبيلة الربيعة بن سعد بن خولان، كانوا موالين للسلطة العباسية، وكانوا على خلاف مع إخوتهم سعد بن سعد بن خولان، وقد اتخذ زعماؤهم موقفا عدائيا من حركة الإمام الهادي إلى الحق، ثم سالموه. ينظر: العلوي: السيرة، ل53/ أ، والهمداني: الإكليل، ج1، ص231، 233- 234، 239- 240.

(70) العلوي: السيرة، ل56/ أ. والغيل: الغيل: قرية أحدثت قرب صعدة، ذكر الهمداني (صفة جزيرة العرب، ص163، 224، 225) أن منها يسلك الوادي المسمى بها (وادي الغيل)، الذي يلتقي أخيرا بوادي عكوان. وهذا يرجّح أنها الموضع المعروف اليوم بالروضة، في الجهة الشرقية الشمالية من صعدة القديمة.

(71) العلوي: السيرة، ل65/ أ.

(72) العلوي: السيرة، ل65/ ب.

(73) المهاذر: بطن من الربيعة بن سعد بن خولان، من بني عم الأكيليين، سكنوا حقل صعدة، ولا تزال منطقتهم معروفة بهذا الاسم حتى اليوم، هي إلى الجنوب غربًا من صعدة بمسافة يسيرة. العلوي: السيرة، ل67/أ، 68/ب، والهمداني: الإكليل، ج1، ص250، والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج3، ص2026.

مع محمد بن القاسم العلوي[74]، وعند قيام الإمام الهادي إلى الحق بإخماد تمرُّد قبيلة الربيعة بن سعد[75] كان المؤلف أحد فرسانه الذين قاتلوا إلى جانبه في المهمات الصعبة[76].

ويبدو أنه التحق في آخر عام 287هـ/ 900م بأبيه؛ إذ نجده في المحرم 288هـ/ يناير 901م وقد وجَّهه أبوه من نجران على رأس "عسكر كثيف من خيل ورجال" إلى الإمام الهادي إلى الحق بحسب طلبه استعدادا لدخول مدينة صنعاء[77]. وفي طريق الهادي إلى الحق إلى صنعاء سنة 288هـ/901م كان المؤلف قائد مقدمته(78)، ثم سُلِّمَ إليه لواء الجيش يحمله بين يدي الإمام الهادي إلى الحق حتى التقى مع حاكم صنعاء الطريفي أبي العتاهية[79]) شمال صنعاء، وهناك أمر "الهادي أصحابَه بالوقوف، فوقفوا إلا علي بن محمد فإنه كان بالقرب منه، وكان معه اللواء"[80].

وبهذا يتبيّن أن المؤلف كان من قادة الإمام الهادي إلى الحق الذين دخل بهم صنعاء في 23 محرم 288هـ/16 يناير 901م. ويبدو حديث السيرة عن أخبار وحروب الهادي إلى الحق خلال سنة 288هـ/901م في صنعاء ومحيطها مُغْفَلاً من ذكر التواريخ، وكأنه يشير إلى مغادرة المؤلف للإمام الهادي إلى الحق، وعودته إلى نجران، وهو الأمر الذي أكّده المؤلف لاحقا؛ إذ ذكر أنه في رمضان 288هـ/ سبتمبر 901م كان في نجران[81].

بقي المؤلف مع والده والي نجران فيها – كما يبدو – ولما قام بنو الحارث معارضين لوالده في عام 291هـ/ 903م استطاع هذا الوالي أن يبسط نفوذه عليهم، وأمَّن البلد، على رغم ضآلة عدد العسكر الذين كانوا معه، بالإضافة إلى ولديه المؤلف وأخيه القاسم[82]، وكانا يدي أبيهما حيث كانا يتحركان معه، وينفِّذان المهمَّات الموكَلَة إليهما بقوة ودقة[83].

هذا وقد كتَبَ مؤلفنا الشعر الإعلامي والدعائي في نصرة والده وتحشيد القبائل اليمنية النجرانية إلى جانبه[84]، ومع ذلك فقد كان لا بد من تدخُّل الإمام الهادي إلى الحق بجيشه لاستعادة السيطرة على نجران وقمع المتمردين بها، وظهر المؤلف في رجب 291هـ/ يونيو 904م وكأنه يد الإمام الهادي الضاربة التي

(74) العلوي: السيرة، ل67/ أ. ومحمد بن القاسم العلوي: عباسي من ولد العباس بن علي بن أبي طالب، قريب للمؤلف، وقد شكاه أحد جنود الهادي من قبيلة العهرا إذ ضربه بالسوط، فما كان من الهادي إلا أن أمر بضرب هذا القائد قصاصا لجنديه. العلوي: السيرة، ل67/ أ.

(75) الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو: أحد أفرع قبيلة خولان القضاعية الحميرية، ومنهم: الأكيليون، والكلاييون، وآل أسيد، وبنو مالك، وبنو عوير، والمهاذر، وبنو بحر، ومنبه، وآل قرف. ينظر: العلوي: السيرة، 65/ب، والهمداني: الإكليل، ج1، ص208، 209، 217، 218، 224–231، 240– 247، 256– 258.

(76) العلوي: السيرة، ل66/ أ.

(77) العلوي: السيرة، ل70/ أ.

(78) العلوي: السيرة، ل70/ ب.

(79) أبو العتاهية: عبدُ الله بن بشر بن طريف، ورث حكم صنعاء بعد والده، وكان رجلا صالحا في نفسه، ضاق ذرعا بتسلُّط أبناء عمومته وظلمهم للرعية باسم دولته، واقتنع بمشروع الإمام الهادي إلى الحق وأحقية موقفه، فكان أحد المستدعين له من الحجاز، ثم من صعدة، ثم سلَّمه حكم صنعاء ومخاليفها، وخزائنها، وأموالها أول سنة 288هـ/ 901م، وأخلص لدعوته ودولته، وسلك طريقة العبادة والزهد والجهاد حتى استُشْهِدَ في إحدى معاركه حول صنعاء في شوال سنة288هـ/ أكتوبر 901م. ينظر: ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج1، ص471– 472.

(80) العلوي: السيرة، ل71/ ب.

(81) العلوي: السيرة، ل79/ أ، ب، 80/ أ، 84/أ.

(82) العلوي: السيرة، ل95/ أ.

(83) العلوي: السيرة، ل98/ أ.

(84) العلوي: السيرة، ل100/ أ.

تهاجم مقاتلي بني الحارث بن كعب، وتدكُّ حصونهم العسكرية[85].

بعد ذلك قرر الإمام الهادي إلى الحق الاستجابة لدعوات الحَكَميين[86] في تهامة للوصول إليهم وبسط دولته على بلدهم، لكنَّ قائدهم غدر بالإمام الهادي إلى الحق، ونكث عهده، وهاجم جيشه، فهرب ذلك الجيش، فكان المؤلِّفُ أحد فرسانٍ ثمانية ثبتوا في أرض المعركة، حتى استطاع بقية الجيش التراجع وتنفيذ هجوم ثان على الحكميين وإلحاق الهزيمة بهم[87].

وبسبب وجود فجوة تاريخية في السيرة بين عامي 291هـ/904م و294هـ/906م؛ إذ لم تذكر السيرة أحداث تلك الفجوة، فإنه لم يتم التعرف إلى أحداث المؤلف فيها، إلا أنه يترجّح أنه قضاها مع والده في نجران؛ بوصفه كان قائد شرطته، وربما مارس القضاء في هذه المدة أيضا.

وخلال عام 294هـ/906م تجدَّدت حركة التمرد من بني الحارث، ودخل على خطِّ المتغيرات ظهورُ حركة القرامطة[88] فيها، التي تحالفت مع بني الحارث، كل ذلك بالتزامن مع تحركاتهم في المذيخرة[89] وصنعاء ومسور[90]، وقد أنشأ المؤلف قصيدته التي يذكر فيها لأول مرة القرامطة وبعضا من عقائدهم، وأنهم يزعمون أن "إمامهم إله قادر"، وما شاكل ذلك[91].

خرج الإمام الهادي إلى نجران في 20 رجب 294هـ/ 5 مايو 907م، وأخضع المتمرِّدين فيها، وقبض على بعض زعماء ورجال القرامطة وبني الحارث[92]، وحينها قام المؤلف بدور أمني كبير؛ إذ شرّد رؤوس الفتنة "إلى رؤوس الجبال، وأقلق نهارهم، وأسهر ليلهم، وطلبهم في مواضعهم عندما أمكنه العسكر، ووجد عليهم معينا"؛ لذلك "اطمأنّت البلد، ولبس الناس العافية، وصرموا نخيلهم، ولم يعترض بهم أحد من الناس ممَّنْ كان يَطْمَعُ بالفساد"[93]. ويظهر من خلال الرسائل المتبادَلة بين الهادي وعامله في نجران – والد المؤلف – أن المؤلف كان المسؤول الثاني في نجران بعد أبيه[94]، وتدلُّ دقَّةُ المعلومات التي أوردها المؤلف عن خصومه من متمردي أهل نجران أنه كان المسؤول الأمني الذي كان يتلقّى التقارير الاستخبارية، التي

(85) العلوي: السيرة، ل101/ أ.

(86) الحكميون: من بني عبد الجد، من حكم بن سعد العشيرة، من مذحج، كانوا في تهامة في منطقة ما أطلق عليه لاحقا (المخلاف السليماني)، وكان يرأسهم في عصر الإمام الهادي إلى الحق إبراهيم بن علي الحكمي، والغطريف الحكمي. العلوي: السيرة، ل102/أ– ب، والهمداني: صفة جزيرة العرب، ص232.

(87) العلوي: السيرة، ل102/ ب– 103/ أ.

(88) القرامطة: فرعٌ من الإسماعيلية، يلفُّ الغموضُ سببَ تسميتهم بهذا الاسم، غير أن الثابت أنها نسبة إلى أحد دعاة الإسماعيلية، وهو حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط، والقرمطة في اليمن "عبارة عن الزندقة"، وأول من سنَّ القرمطة فيها هو علي بن الفضل، ويعتقد بعض المؤرِّخين المُحْدَثين أن القرامطة جزء من الإسماعيلية لكنهم كانوا أكثر حماسا لتطبيق المبادئ غير المكشوفة للناس. الحميري، نشوان بن سعيد (ت573هـ): الحور العين، تح: كمال مصطفى، دار آزال، بيروت، المكتبة اليمنية، صنعاء، ط2، 1985م، ص254، وديخويه، ميكال يان: القرامطة، تر: حسني زينة، دار ابن خلدون، ط1، 1978م، ص163.

(89) المذيخرة: مدينة في بلد الكلاع ومخلاف جعفر، وتشكل اليوم مديرية في جنوب غرب محافظة إب، بين ذي السفال والعدين. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص118، 198، والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: خريطة مديريات وعزل محافظة إب، نسخة إلكترونية.

(90) مسور: جبل عظيم كان يسمى (تخْلَي)، ويطل على بلاد حجة وتهامة من جهة الغرب، ويقع شمال غرب مدينة ثلا في محاذاة جبل المصانع، ويشكل اليوم مديرية من أعمال محافظة عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص125، 134، 234، والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج3، ص1881.

(91) العلوي: السيرة، ل116/ أ.

(92) العلوي: السيرة، ل119/ أ.

(93) العلوي: السيرة، ل120/ ب.

(94) العلوي: السيرة، ل122/ أ، 126/ أ.

كشفت حقيقة مواقف بعض زعماء نجران الذين كانوا يتظاهرون بالولاء للإمام الهادي إلى الحق وعامله[95]. عاد بنو الحارث للتمرد في 295هـ/907م، وعاد الإمام الهادي إلى الحق بجيشه لإخضاعهم، ولما غادر نجران في 5 ذي الحجة 295هـ/ 4 سبتمبر 908م[96] حدثت تطوُّراتٌ سريعة؛ إذ عقد بنو الحارث بقيادة ابن حميد[97] العزم على مباغتة والي نجران، والد مؤرخنا، والفتك به غدرا، وبالفعل تمكَّنوا من قتله في يوم الخميس 22 من ذي الحجة 295هـ/21 سبتمبر 908م[98]، بينما كان ولده المؤلف موجودا في الحَضن بين قبائل همدان، وقد رثاه بقصيدة قال فيها:

"قتلت حارث بن كعبٍ شريفا

خيرَ مَن وحَّدَ الإلهَ وصاما

قتلوه فأفحشوا القتل فيه

حين أضحى لديهمُ مستضاما"[99]

ومن المرجّح بحكم وظيفته في نجران أنه شارك في الحملة التأديبية التي نفَّذها الإمام الهادي إلى الحق بحق قتلة أبيه[99]، ثم لا نعرف كيف وأين قضى المؤلف سنة 296هـ/ 908م، لكنه من المؤكد أنه بحكم عمله ووظيفته واستعداداته ومشروعه أنه سيستمر في ذات الطريق، ومن المحتمل أن ما ذكره بعضُ المؤرخين من أن الإمام الهادي إلى الحق ولاه القضاء بنجران[100] كان في هذه المدة التي تلت مقتل أبيه، أي في هذا العام.

ذكر الملحق التاريخي[101] للسيرة أنّ المؤلف قاد حملة عسكرية في عام 297هـ/909م لتحرير صنعاء من القرامطة، وكان عمره آنذاك 27 سنة تقريبا، وبالفعل نجح في ذلك، واستعاد صنعاء في 11 رجب 297هـ/25 مارس 910م، وأقام فيها وأمَّن أهلها[102]. تلك أبرز المحطات التي كان لمؤلفنا دور فيها، التي أعطت ملامح واضحة عن شخصية علمية وعملية جادة يتقن مهامه العسكرية والأمنية بجدارة، وأنه كان جديرا بتوليته الولايات المتعددة رغم صغر سنه وبداية بلوغه سن التكليف الشرعي.

**المطلب الخامس: وعيه التاريخي:**

تضمّنت هذه السيرة جزءًا من تأليف القاضي محمد بن سليمان الكوفي[103]، وفيه أخبار الإمام الهادي إلى

(95) مثل ابن بسطام الذي كان يتظاهر بتأييد الهادي، ولكنه في الحقيقة يتآمر مع زعماء بني الحارث ويكاتب والي العباسيين ويحضه على القدوم إلى نجران. العلوي: السيرة، ل121/أ– ب، 122/ب.

(96) العلوي: السيرة، ل126/ أ.

(97) ابن حميد: هو الحسن بن حميد، من بني خيثمة، إحدى أفرع قبيلة بني الحارث بن كعب، وعدادها في قبائل مذحج، وكان من أشد خصوم دولة الإمام الهادي إلى الحق في نجران، وكان قائد تمرد بني الحارث بن كعب عليها أيام الإمام الهادي إلى الحق. العلوي: السيرة، ل79/أ، 101/ ب، 115/ أ.

(98) العلوي: السيرة، ل129/ ب.

(99) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج3، ص323.

(100) ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج3، ص323.

(101) هو ملحق بالسيرة التي كتبها العلوي في ذات المخطوطة، ورد في جميع نسخ المخطوطة، تحدّث باختصارٍ شديد عن أحداث وحوادث مهمة في صعدة وصنعاء وتهامة وذمار والمذيخرة بدءًا من عام 291هـ/ 903م إلى أحداث في سنة 328هـ/ 940م، وغطّى مساحةً زمنية واسعة، لمدة من أخطر فترات التاريخ اليمني، وقد أخذ حيزه في المخطوطة من ل136/ ب إلى 146/ أ.

(102) العلوي: السيرة، ل138/ ب – 139/ أ (الملحق).

(103) القاضي العلامة محمد بن سليمان الكوفي، أبو جعفر الأسدي، ولد في الكوفة في حوالي 240هـ/854م، ونهل من مدرستها في الفقه والحديث، ثم هاجر إلى اليمن لإعانة الإمام الهادي إلى الحق، وتولى القضاء له ثم لابنيه المرتضى والناصر، وله عدد من المؤلفات، منها كتاب مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو السائل للإمام الهادي إلى الحق في كتابيه المنتخب والفنون. توفي بعد سنة 322هـ/933م. ينظر: العلوي: السيرة، ل143/ أ (الملحق)، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج3، ص313، وابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج2، ص971، و الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج2، ص250.

الحق وبعض فضائله وإثبات إمامته[104]، كما تضمَّنت ملاحظات مدوّنة كتبها والد المؤلف عبَّرت عن نفَسٍ تاريخي لدى والد المؤلف، انطلاقا من انبهاره بشخصية الإمام الهادي إلى الحق، واعتقادا بإمامته وتفرده في الفضائل[105]. واشتملت هذه المخطوطة على ملحق للسيرة مكون من أوراق يسيرة كتبها القاضي محمد بن سعيد اليرسمي[106]، تحدث فيها عن يوميات الإمام الهادي إلى الحق بما يكشف عن فرادته ومميزاته[107]، وهي محاولات تكشف عن نزوعٍ لدى رجالات دولة الإمام الهادي إلى الحق إلى تدوين أخباره وفضائله ومميزاته لإثبات أحقيته وفرادته؛ إذ جاء تحركه على خلاف الواقع السياسي الإسلامي آنذاك، ومن ثَمَّ كأنه قد وضع نفسه موضع الاستغراب من عموم الشعوب الإسلامية، وهنا لا بد من إثبات أحقيته ومشروعيته؛ باعتبار أنه هو الممثل الحقيقي لدولة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ابنه ومن ذريته، وهذه هي سيرته التي تشبه سيرة جده الرسول أيضا، ومن هنا أتت مقولة الإمام الهادي إلى الحق نفسه: "لا أتعدّى سيرة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[108].

ولعل ذات الشعور ونفس الوعي التاريخي الذي أخذ بهؤلاء، هو الذي حمل المؤلف على كتابة كتابه هذا، وهو الذي نشأ وتعلّم في المدينة ذات الإرث التاريخي العريق الذي مر ذكره، وهو الذي وجد أباه يلاحظ ويدوِّن ويحاول إثبات رؤيته حول الإمام الهادي إلى الحق وهي أنه الإمام الشرعي الذي تجب طاعته، وهو الذي وجد نفسه في واقعٍ يَفْتَرِضُ عليه وعلى أمثاله أن يُنَفِّذَ تلك المهمة التاريخية، ولهذا صَرَّح المؤلفُ نفسُه أنه بمجرد وصوله إلى اليمن سأل أباه وغيره عن الأخبار والأنباء التي حدثت للهادي قبل مجيئه، بل منذ خروج والده من المدينة إلى وصوله إلى الرس[109] مسقط رأس الإمام الهادي إلى الحق ومصاحبته إياه حتى يوم مقدمه إلى اليمن[110].

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على وعي المؤلِّف المبكِّر الذي حمله معه أيضا من المدينة، وهو الشاب الطموح والشجاع الذي لم يتجاوز عمره عند بداية جمعه للكتاب السادسة عشرة، كما يدل على نظرته الفذة، ونضوجه المبكر. وربما شدّ من أزر هذا الوعي أن المؤلف، وهو في صعدة أولا في مواجهة المتمرِّدين الأكيليين على سلطة الهادي إلى الحق ثم في نجران ثانيا في مواجهة المتمردين من بني الحارث بن كعب، وكلاهما من أنصار الدولة العباسية الذين يُحَرِّمون الخروج على الدولة العباسية، ويشككون في مشروعية معارضتها ومعارضيها، فكان هذا موجبا لتقديم الإثبات بفرادة هذا الإمام، وأن سيرته إنما هي امتداد لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(104) ضمّنها المؤلف أول كتابه وأسند رواياتها إلى محمد بن سليمان نفسه.

(105) العلوي: السيرة، ل14/ ب، 15/ ب، 16/ ب، 17/ أ، ب، 39/ ب، 42/ أ- ب.

(106) محمد بن سعيد اليرسمي، الخولاني الصعدي، الشيخ الفاضل، والقاضي العالم، المسؤول المالي في حكومة الإمام الهادي إلى الحق، ومندوبه للمهمات، والمجاهد بين يديه، ومن أبرز زعماء أصحابه ووجوههم، وهو الذي سأله كتابه (مسائل محمد بن سعيد)، ثم كان من أبرز رجال ابنيه المرتضى والناصر. ينظر: العلوي: السيرة، ل35/ أ، 55/ ب، 61/ ب، 64/ ب، 66/ ب، 80/ أ، 85/ أ، ويحيى بن الحسين: المستطاب، ل23/ أ، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج4، ص309.

(107) العلوي: السيرة، ل135/ ب- 136/ ب (الملحق).

(108) العلوي: السيرة، ل21/ أ.

(109) الرس: بالقرب من المدينة المنورة وراء جبل أسود قريبا من ذي الحليفة. الهاروني، يحيى بن الحسين، أبو طالب (ت426هـ): الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تح: إبراهيم مجد الدين المؤيدي، وهادي حسن الحمزي، مكتبة أهل البيت، صعدة، ط2، 1432هـ/ 2011م، ص98.

(110) العلوي: السيرة، ل10/ ب، 41/ أ.

لقد افتخر المؤلف في قصائده بجده العباس بن علي بن أبي طالب ومواقفه في كربلاء، وشبَّه وقوفَه مع الإمام الهادي إلى الحق بوقوف جده العباس بن علي مع أخيه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في كربلاء[111]، وهو يشير إلى سلطة التاريخ في وعيه وكيف تتحول المعرفة التاريخية إلى واقعٍ وسلوكٍ واتجاه، ولهذا فقد كان المؤلف معنيا بإثبات أن واقع الإمام الهادي إلى الحق هو واقع رسول الله وواقع الأئمة من بعده كعلي بن أبي طالب والحسين عليهم السلام، ومن ثَمَّ فإن الموقف الذي يقفه المؤلف وذووه وآخرون هو الموقف الصحيح والطبيعي.

إن هذا هو السبب في ظهور الوعي بالتاريخ وأهمية تدوينه لدى عدد من رجالات دولة الإمام الهادي إلى الحق، وهو ما لم نجده عند دول وجماعاتٍ أخرى معاصرة لها، مثل الدولة اليُعْفِرية والحركات الأخرى التي لم يظهر لها نتاجٌ تاريخي؛ إذ أنها لم تمر بالظروف والدواعي التي مرَّت بها دولة الإمام الهادي إلى الحق ورجالاتها، ثم إنها كانت تَعْتَبِرُ نفسَها جزءًا من مشروع العباسيين، ومن ثَمَّ فليس عليهم أن يثبتوا التميُّز والفرادة.

أما القرامطة فلم يكونوا معنيين بتقديم النموذج والإثبات عليه بقدر ما كانوا معنيين ببسط نفوذهم وسيطرتهم بأية طريقة كانت.

وبهذا يتضح أن وعي مؤرخنا العلوي التاريخي لم يكن مجرد نزعة توثيقية أو اهتمامٍ بالأحداث، بل كان وعيًا رساليًّا ذا بعد عقدي وسياسي، يهدف إلى إثبات مشروعية الإمام الهادي إلى الحق وفرادته في سياقٍ تاريخيٍّ كانت فيه الشرعية موضع نزاعٍ وصراع. لقد تَشَكَّلَ هذا الوعي في بيئةٍ علميةٍ وتاريخيةٍ راسخة، تأثَّر بها المؤلف بإرث المدينة المنوّرة ومنهج أبيه التدويني، فامتزج لديه التاريخ بالإيمان، والسرد بالبرهان، ليقدّم من خلال كتابه نموذجًا مبكرًا للمؤرخ الملتزم الذي يوظف التاريخ في خدمة الحق وإحياء الوعي الرسالي في الأمة.

**المطلب السادس: وفاته: سببها ومكانها وزمنها:**

كانت آخر مهمة مؤرَّخة نفَّذها المؤلف – بحسب المصادر التاريخية – هي قيادته لجيش الإمام الهادي لتحرير مدينة صنعاء من نير حكم القرامطة عام 297هـ/909م، وبعد ذلك يختفي ذكر المؤلف من التاريخ تماما. بيد أن كلا من نسختي السيرة المخطوطتين (الأصل ونسخة [112] وقد كتِبَتا في القرن 11هـ/ 17م أوردتا تحت عنوانيهما في الصفحة الأولى أن مؤلفنا كان "من نجباء الناشئين في أيام الهادي – صلوات الله عليه – ذوي المقامات الشهيرة بين يديه، وأحد الشهداء مع الهادي عليه السلام بنجران، فنُقِل من المعركة حيًّا إلى خيوان[113]، وتوفي بها، وقبره مشهور مزور، وفيه يقول الهادي إلى الحق:

(111) العلوي: السيرة، ل116/ أ.

(112) نسخة (ذ) سميتها كذلك نسبة إلى مالكها القاضي العلامة محمد بن عبد الهادي ذعفان، حصلْتُ عليها من مكتبة علي أميري في إسطنبول، وقد تفاجأت أنها ذاتُ النسخة التي اعتمد عليها الدكتور سهيل زكار في نشره للكتاب، وقد نسِخَتْ يومَ الأربعاء 23 جمادى الأولى سنة 1086هـ، وتقع في 59 لقطة.

(113) خيوان: مدينة في الشرق الشمالي من حوث، تبعد عن صنعاء شمالا 134 كم، وهي "من غُرَرِ بلد همدان، وأكرمه تربة، وأطيبه ثمرة". الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص115، والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج1، ص605.

وقبر بخيوان حوى ماجدا
منتخب الآباء عباسي
قبر علي بن أبي جعفر
من هاشم كالجبل الراسي
يطعن الطعنة خوارة
كأنها طعنة جساس"

ويؤكد ذلك ابن أبي الرجال(114) إذ يقول: "والسيد علي بن أبي جعفر المدفون بخيوان الذي أصيب بنجران وحُمِل وقد ارتُثَّ، وقال فيه الهادي..."، ثم أورد الأبيات الثلاثة السابقة، لكنه طرح احتمالَ أنه شخص آخر غير مؤلفنا هذا، والسبب الذي دعاه لافتراض ذلك الاحتمال روايةٌ رواها عن "بعض المؤرخين"، وهي أن الهادي كان قد "استخلفه على القضاء بنجران، واستخلفه الناصر للحق[115] على غُرَق[116]، وهي مدينة الدُّعَام[117] وبنيه".

أربكت هذه الرواية التي دوّنها ابنُ أبي الرجال مَنْ أتى وراءه، فتجاهل – كما يبدو – المؤرخ السيد محمد بن محمد زبارة أبيات الإمام الهادي تلك فيما اختاره "من أشعار الهادي في كتابه أئمة اليمن، وحتى لا يقع في تناقض"( 118 )، وكذلك تلقف الباحث عبدالله الحبشي[119] رواية "بعض المؤرخين"، وقال: إنه تولى في عهد الناصر "على الجوف"، ومثله الدكتور حسين العمري[120] حيث قال: "وفي عهد ابنه الناصر (301 – 325هـ) ولي الجوف وأرحب، وهذا يعني أنه كان لا يزال حيا في مطلع القرن الرابع".

وردت رواية أخرى في هامش نسخة (ط) (121) من سيرة الإمام الهادي إلى الحق التي نسخت سنة 1017هـ/1608م للشيخ المجاهد علي بن وهان بن صلاح العذري، وكان أحد كبار قادة الإمام القاسم بن محمد (ت1026هـ/1617م)، على موضع في (ل115/ ب)، وفيها ما نصُّه: "عليٌّ هذا هو ولَدُ

(114) مطلع البدور، ج3، ص323.

(115) الناصر للحق: أحمد بن يحيى بن الحسين، وُلِدَ بعد أخيه محمد المرتضى، لعله في سنة 270هـ/883م، وتعلم على يد والده وأهل بيته، وصار إماما محرزا للعلم أصوله وفروعه، وكتب كثيرا من المؤلفات التي تدل على تضلعه في العلوم، وقد بويع بالقيام بعد اعتزال أخيه وعقب عودته من الحجاز سنة 301هـ/913م، ويترجح أنه توفي سنة 322هـ/934م. الهاروني: الإفادة، ص132– 133، وعلي بن بلال، أبو الحسن الآملي (ت ق4هـ): تتمة المصابيح، طبع ضمن المصابيح، تح: عبدالله بن عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ط1، 1423هـ/ 2002م، ص598– 601، والمحلي، حميد بن أحمد الوادعي (652هـ): الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تح: المرتضى بن زيد المحطوري، مكتبة بدر، صنعاء، ط1، 1423هـ/ 2002م، ج2، ص88– 100، والوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج1، ص211– 213.

(116) غُرَق: موضع في الجوف الأعلى، كان سوقا من أسواق بكيل، ويعرف اليوم باسم (سوق الدعام)، ويشكل مركز عزلة في مديرية الزاهر، من أعمال الجوف. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص161، 219، والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج2، ص1372، والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: خريطة عزل ومديريات محافظة الجوف، نسخة إلكترونية.

(117) الدعام هو: الدُّعَامُ بن إبراهيم الأرحبي الهمداني، رئيس قبيلة بكيل، و"سيد همدان في عصره"، صاحب نجدة، وفروسية، وجود، وحلم، ودهاء. أطاح بحكم اليُعْفِريين من همدان وصنعاء، واستلبهم مملكتهم، وجُبِيَتْ له اليمن إلى ساحل عدن، وإن كان ذلك لمدة قصيرة، وكان أحد المستدعين للإمام الهادي إلى الحق من الحجاز، ولما وصل إلى اليمن حاربه وقتا، ثم لاءمه، وكان ينصره أحيانا، ويخذله حينا آخر، وقد توفي عام 298هـ/910م. ينظر: العلوي: السيرة، ل29/ ب– 38/أ، 63/ب، والهمداني: الإكليل، ج10، ص132– 135، والطبري: تاريخ صنعاء، ص73– 74.

(118) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج1، ص131.

(119) الحبشي، عبدالله محمد: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1425هـ/ 2004م، ص473.

(120) العمري، حسين عبدالله: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دار المختار للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1980م، ص27.

(121) نسخة (ط) من سيرة الإمام الهادي إلى الحق سميتها كذلك، نسبة إلى مالكها (أبو طالب)، وهي موجودة في دار المخطوطات برقم (2575)، تقع في 216 لقطة، تاريخ النسخ 1017هـ.

محمد بن عبيد الله عليه السلام، وكان من أكبر الأعيان بعد أبيه، ومات في أيام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى عليه السلام بالجوف، وهو إذ ذاك والٍ للناصر، وحُمِلَ إلى خيوان، وقبره فيه مشهور مزور ظاهر البركة، وقد زاره إمامُنا المنصور بالله القاسم بن محمد – قدّس الله روحه – ونحن معه، ورثاه الناصر بأبياتٍ كانت مرقومة في لوحٍ من صخرة عليه، وهي: قبر بخيوان حوى ماجدا..."، وأكمل تلك الأبيات.

إذن تُجْمِعُ هذه الرواياتُ المتعددة على أنه مقبورٌ في خيوان، وأن تلك الأبيات الشعرية قيلت فيه، وإن اختُلِفَ في قائلها، وفي زمن وفاته، هل هو في عهد الإمام الهادي إلى الحق، ومن ثَمَّ فهو الذي رثاه بتلك الأبيات، أم في عهد ابنه الإمام الناصر، وعليه فهو الذي رثاه، لا أبوه، وتختلف أيضا في سبب الوفاة، هل مات موتا طبيعيا، أم بسبب جراحته التي أصابته في المعركة، وهل مات في الجوف أم في نجران ثم نقل إلى خيوان، ودفن فيها، أم وصل إليها حيا ثم مات بها، على أنه يبدو أنَّ نقله من الجوف إلى خيوان أكثر منطقية من نقله جريحا من نجران إلى خيوان؛ إذ لا يوجد داعٍ لنقله من نجران إلى خيوان ودفنه فيها، بتجاوز صعدة التي كانت مقر الحكم وعاصمة الدولة.

وقبل تكوين ترتيبٍ منطقي للأحداث ينسجم مع الحقائق التاريخية والجغرافية ينبغي الوقوف على هذه النقاط:

أولا: إن افتراض ابن أبي الرجال رجلين، أحدهما علي بن محمد بن عبيد الله، هو مؤلف السيرة، وآخَرُ هو علي بن أبي جعفر، قال فيه الهادي تلك الأبيات، معالجة خاطئة لرواية "بعض المؤرخين" الذي لم نعلم من هو، وما وزن روايته التاريخية، ثم إن أحداث الهادي إلى الحق وسيرته لا تقبل بوجود رجلين على هذا النحو، فعلي بن أبي جعفر هو علي بن محمد بن عبيد الله، كما تردَّدَ ذكر ذلك في السيرة، وكان كثيرا ما أُطْلِقَ فيها على والد المؤلف كنية (أبي جعفر).

ثانيا: يترجّح بشكل كبير أن قائل تلك الأبيات هو الإمام الهادي إلى الحق؛ لاشتهار ذلك بين كثير من المؤرخين كما ورد لدى يحيى بن الحسين(122)، وابن أبي الرجال(123)، وفي نسختي (الأصل) و (ذ) من السيرة، وغيرهما، كما أن الناصر أحمد ابن الإمام الهادي لم يُنْقَل له من الشعر سوى ثلاثة أبيات، ليست منها تلك الأبيات(124)، وتكرار المؤرخين لتلك الأبيات اليتيمة من شعر الناصر من غير أن يذكر أحدٌ منهم أنه قال هذه الأبيات الأخرى في العلوي يؤكّد أنَّ ما ورد في هامش (ط) ليس سوى معالجة خاطئة لما كان قد تقرّر عندهم من تأخُّر حياة مؤرخنا العلوي إلى عصر الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي إلى الحق، وعليه تم نسبة الأبيات إليه.

ثالثا: كان العلوي رجلا طموحا، وقياديا ناجحا، وعسكريا فذا، وشاعرا مرهفا، تولى مناصب قيادية وعسكرية رفيعة في عصر الإمام الهادي إلى الحق على صغر سنه، الذي لم يبلغ حتى آخر أيام الهادي إلى الحق الثماني والعشرين من السنين، وأطلق قصائد عديدة في عدد من الحوادث، ولهذا فمن غير المنطقي أن تمر أحداث خطيرة ومهمة، مثل موت الإمام الهادي إلى الحق، وبيعة ولده

(122) المستطاب، ل26/ أ.

(123) مطلع البدور، ج3، ص323– 324.

(124) ينظر: علي بن بلال: تتمة المصابيح، ص353، والمحلي: الحدائق الوردية، ج2، ص89، والزحيف، محمد بن علي بن يونس، المعروف بابن فند (كان حيا في 916هـ): مآثر الأبرار في تفصيلات مجملات جواهر الأخبار، تح: عبدالسلام الوجيه، وخالد المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ط1، 1423هـ/ 2002م، ج2، ص657.

الإمام المرتضى[125]، وقتال القرامطة، ثم اعتزال الإمام المرتضى وبقاء منصب الإمامة شاغرا، ثم بيعة الإمام الناصر وقيامه بحرب القرامطة، ووقوع معركة نغاش[126] التاريخية التي شاركت فيها قيادات كانت أقل شأنًا من العلوي في عصر الهادي إلى الحق، مثل ابن عمه إبراهيم بن المحسن العلوي[127]، وغيره، وقالت الشعراء في ذلك قصائد، ثم وقوع أحداث مثل حروب الناصر مع بعض القبائل وخلافها عليه، فليس من المعقول أن تمُرَّ كلَّ تلك الأحداث الخطيرة والكبيرة، ولا نحس العلوي في شيء منها، ولا نسمع له ركزا، لا بخوض معركة ولا بإنشاء قصيدة، في وقتٍ يكون عمره فيه في عهد الاكتمال والنضج، ويسكت التاريخ عن ذلك سكوتا كأنه الموت، إنّ هذا يرجّح أنَّ العلوي كان قد غادر الحياة قبل ذلك.

رابعا: لم يكن منطقيا أن يُجْرَح العلوي في نجران، ويرتث فيها، ثم ينقل إلى خيوان ويدفَن فيها، وهذا يعني جغرافيا أنهم مروا من صعدة، وتجاوزوها جنوبا عن طريق بلاد الربيعة بن سعد، ثم بني سلمان[128]، إلى أن يصلوا به إلى خيوان، وكأن خيوان كانت مقر سلطة الإمام الهادي إلى الحق، أو مسقط رأس العلوي، فلماذا لم يُبْقُوه في صعدة، ويعالَج فيها، ويدركه الموت هناك، وإذا كان قد أصبح ميتا فلماذا لم يدفن فيها، وهي عاصمة الدولة ومستقر رجالاتها، إنَّ هذا يشيرُ إلى أنَّ الرجل كان قادما من مكانٍ غيرِ نجران، مكانٍ تقع خيوان على طريقه، وربما كان من صنعاء، أو البون، أو الجوف.

لهذا كلِّه فإنه من الأهمية بناءُ مقارَبة أخرى على ضوء تلك النقاط تتسق والمعطيات التاريخية والجغرافية وتراعي الإجماع التاريخي، وهذه المقاربة هي على النحو الآتي:

لقد تركنا العلوي سابقا، وهو في صنعاء، وقد حرَّرها من نير القرامطة في 19 رجب 297هـ/2 إبريل 910م، غير أنَّ الهادي كان قد أرسل في 10 شعبان من نفس السنة ولده أبا القاسم محمد ودخل صنعاء أيضا لمواجهة القرامطة أيضا(129)، أي بعد حوالي 21 يوما فقط من دخول العلوي إليها، ولم يذكر الملحق ما هو مصير العلوي، وأين ذهب، ولماذا جرى استبداله بأبي القاسم محمد، على عادته في الاختصار الشديد للحوادث والأحداث والأخبار التي سردها.

(125) هو: محمد بن يحيى بن الحسين، وُلِدَ في الرس لعله في سنة 268هـ، وتعلَّم على يد والده وأهل بيته حتى صار إماما في العلوم، وكتب كثيرا من المؤلفات في علوم القرآن والأصول والفقه وغيرها، بويع إمامًا بعد وفاة والده في 289هـ/ 910م وتلقَّب بالمرتضى لدين الله، لكنه سرعان ما اعتزل الأمر، ليتولّى أخوه الإمام الناصر أحمد، ثم توفي سنة 310هـ/922م. الهاروني: الإفادة، ص130- 131، والمحلي: الحدائق الوردية، ج2، ص80- 87، والوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج2، ص352- 355.

(126) نغاش: بلدة في ضواحي مدينة عمران، في الشمال الغربي منها، وتتبع إداريا عزلة عيال حاتم، مديرية جبل عيال يزيد. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص221، والجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية: التعداد العام 2004م، محافظة عمران، نسخة إلكترونية، ص145. وفيها كانت معركة حاسمة بين جيش الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي إلى الحق وقرامطة مسور، وكان الانتصار فيها كبيرا لصالح جيش الإمام الناصر. ينظر: العلوي: السيرة، ل142/ أ (الملحق).

(127) هو: إبراهيم بن محسن بن الحسين العلوي، من ذرية العباس بن علي بن أبي طالب، هاجر مع والده إلى الإمام الهادي إلى الحق في اليمن، وظهر دوره القيادي مع الإمام الهادي إلى الحق في نجران، ثم وليَ بعده للإمام الناصر أحمد عددا من الأعمال، وكان أميرا مقداما، وعالما محققا. ابن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج1، ص72، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج1، ص161- 162.

(128) بنو سلمان: بطن من ولد سلمان بن معاوية بن سفيان بن أرحب، ذكر الهمداني أنهم "بيت سفيان وأشرافها"، ومساكنهم في عيان وبركان (مديرية حرف سفيان، من أعمال محافظة عمران). العلوي: السيرة، ل42/أ- ب، والهمداني: الإكليل، ج10، ص146- 150، وصفة جزيرة العرب، ص364.

(129) العلوي: السيرة، ل139/ أ (الملحق).

ومن المحتمل أن العلوي كان قد جُرِح في هذه المرة؛ الأمر الذي اضطُرَّ الإمام الهادي إلى الحق إلى إرسال ولده أبي القاسم محمد بديلا عنه لمواصلة مشواره في مواجهة القرامطة عسكريا، ولعلَّ ارتباطَ العلوي بنجران في عهد أبيه وأنه جُرِحَ في مواجهة القرامطة هو الذي حمَلَ بعضَ المؤرِّخين على القول: إنه "جُرِحَ في نجران، ثم حُمِلَ إلى خيوان".

على أنه من المحتمل أنه جُرِح في قرية (نجر) جنوب قاع البون الأعلى[130] في مواجهة القرامطة أيضا، ثم نُقِلَ إلى صعدة، لكن المنية أدركته في خيوان، وهو في طريقه إليها، واشتبه على الرواة (نجر) بـ(نجران). وهذا الاحتمال يتماشى مع منطق الأحداث والجغرافيا أيضا.

آلَمَتْ وفاة العلوي الإمام الهادي إلى الحق، وقد جَعَلَتْه يتذكَّرُ مواقف هذا الشاب العالم، والفارس الشجاع، والشاعر الفصيح، الذي كان معجبا بأدائه رغم صغر سنه، الذي لم يمنعه صغرُ سنه من أن تُسْنَدَ إليه مهماتٌ كبار، سجَّلها العلوي في كتابه باعتزاز، ولا سيما وقد جعله الإمام الهادي إلى الحق "مقدِّمةَ جيشه، وحاملَ لوائه، وملازمَه الخاص الذي لا يفارقه"[131]، عند دخوله صنعاء، وبهذا نستطيع أن "نتصور مدى حزن الهادي وأساه عليه وفجيعته به، ودوافع ذلك الشعر الذي أطلقه زفرة من زفرات الحزن والأسى على شخصية "كالجبل الراسي" ذي الطعنة الخوارة التي تشبه طعنة جساس، مشيرا إلى عظيم نكايته في الأعداء وغنائه في الحرب.

وبهذا يترجح أن العلوي توفي شهيدا متأثرا بجراحه خلال سنة 297هـ/909م عندما كان يقود الجيوش الهادوية في مواجهة القرامطة في صنعاء ومحيطها، وانقطع نَفَسُه في خيوان وهو في طريقه إلى صعدة فدُفِنَ فيها.

**المطلب السادس: الدروس والعبر المستخلصة من هذا المبحث:**

-أول تلك الدروس هي دروس الوفاء والاعتراف بالفضل: حيث يظهر من خلال هذا المبحث كيف كان الإمام الهادي إلى الحق وفيًّا لأصحابه المخلصين، لا ينسى جهودهم ولا مواقفهم، بل يرثيهم شعرًا صادقًا مليئًا بالعاطفة، وهذا الوفاء النادر يكشف جانبًا إنسانيًّا نبيلًا في القائد الذي يقدّر رجاله مهما كانت أعمارهم صغيرة، ما داموا قد أدّوا رسالتهم بإخلاص وشجاعة، والعبرة هنا: أن القائد الحقّ لا يطوي صفحة رجاله بعد رحيلهم، بل يخلّد سيرهم، ويرى في فقدانهم خسارة للأمة كلها.

- ثانيًا: التضحية في سبيل المبدأ: فمؤرخنا العلوي مثالٌ رائع لشابٍّ في مقتبل عمره حمل راية الحق، وقاد الجيوش دفاعًا عن العقيدة والدولة، حتى لقي الله متأثرًا بجراحه. إنه رمزٌ للتضحية من أجل المبدأ، والثبات على الطريق مهما كان الثمن، والشهادة هنا ليست نتيجة صدفة عسكرية، بل ثمرة إخلاصٍ لمشروعٍ إلهيٍّ آمن به حتى النهاية، وهانت عليه في سبيله التضحيات الكبيرة، وأغلاها التضحية بالنفس والأهل والمال، وهذا ما تحقق في مؤرخنا العلوي.

(130) نجر: قرية وجبل في عزلة بني حجاج مديرية عيال سريح، تبعد جنوبا عن مدينة عمران بمسافة 3 كم. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص212، والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج3، ص2082.

(131) الشامي: تاريخ اليمن الفكري، ج1، ص137.

– ثالثًا: القيادة المبكرة والمسؤولية الواعية: على رغم صِغَر سن مؤرخنا العلوي، إلا أنه بلغ مكانة رفيعة في القيادة، ممَّا يدل على أن السنّ ليس معيار الكفاءة، وإنما الوعي والإخلاص والقدرة على المبادرة. لقد أدار المعارك، وكتب الأشعار، وخدم مشروع الإمام الهادي إلى الحق بعقله وقلبه وسيفه معًا. والدرس هنا هو: أن الشباب حين يُمنحون الثقة ويُربّون على الوعي، يصنعون التاريخ ولا ينتظرونه. وهذا يبين أنه على الشباب اليمني اليوم أن يقتدي بهذا النموذج في العطاء والمسؤولية.

– رابعًا: أثر الإنسان لا يُقاس بطول عمره بل بعظمة عطائه: حيث لم يعش مؤرخنا العلوي طويلًا، لكنه ترك من الأثر ما أبقى اسمه حيًّا في كتب التاريخ والسير. فكم من إنسانٍ طالت أيامه ولم يترك وراءه سوى الغبار أو طواه التاريخ في مجاهل النسيان! والعظة هنا هي: أن العبرة ليست بعدد السنوات، بل بمدى ما تتركه من أثرٍ نافعٍ وذكرٍ طيب.

– خامسًا: بين التاريخ والوجدان: فمشهد الإمام الهادي إلى الحق يرثي رفيقه الشاب بأبياتٍ من الألم، يذكّر القارئ أن التاريخ ليس حكاية صمّاء، بل هو تجربة وجدانية وروحية تفيض بالحبّ والوفاء والدموع. والدرس هو أن التاريخ ليس سردًا للأحداث فقط، بل هو أيضًا قراءةٌ في وجدان الأمة وقيمها.

– سادسا: التوازن بين العلم والعمل: تبيَّن من خلال هذا البحث أنّ مؤرّخَنا العلوي جمع بين العلم (تأليف السيرة) والشجاعة (القائد العسكري) والأدب (الشاعر)، وصفات أخرى أيضا، وهذا يعطي درسا مهما لشبابنا اليوم أن الله أودع الإنسان قدرات وإمكانات كثيرة يمكنه الاستثمار فيها بالشكل الذي يرضي الله تعالى، وأن الأمة تحتاج إلى الشخصية المتكاملة التي تجمع بين العلم والعمل.

## المبحث الثاني: منهجه التاريخي في كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم):

بعد أن تم التعريف بالمؤرخ علي بن محمد العباسي العلوي، يأتي هذا المطلب ليكشف النقاب عن الإطار المنهجي الذي انتهجه في تأليف كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين)؛ إذ لا يكفي الاطلاع على المادة التاريخية فحسب، بل إن تقييمها وفهم دلالاتها رهنٌ بفهم الآليات والمناهج التي حكمت انتقاءها وتنظيمها وعرضها. وسيحاول هذا المطلب تبيان الملامح الرئيسية لهذا المنهج، من خلال الوقوف على طريقته في جمع معلوماته ورواياته، ثم معالجته للروايات التاريخية، وأسلوبه في التحليل والتعليل، وطريقة بنائه للحدث التاريخي، وهدفه المُعلَن من تدوين السيرة، مما يسهم في تقديم رؤية شاملة عن قيمة هذا المصدر التاريخي وخصوصيته وملامح منهجيته التاريخية بما يبرز خصائص مدرسته المنهجية.

وسيتم في هذا المطلب بحث أدلة كون العلوي هو مؤلف سيرة الإمام الهادي إلى الحق، ثم مفهوم السير في الاصطلاح التاريخي، ثم لغة السيرة، وصولا إلى منهجيتها التي مضى عليها مؤلفنا.

### المطلب الأول: أدلة كون العلوي مؤلف (سيرة الإمام الهادي إلى الحق):

وقع في نسخ مخطوط السيرة ومنها (الأصل ط ذ) تحت عناوينها نسبة تأليف السيرة إلى كلٍّ من القاضي محمد بن سليمان الكوفي وعلي بن محمد العلوي

العباسي معًا، أما أول نسخة (ي)(132)، الذي كُتِبَ في القرن الحادي عشر – فإنه ينسب السيرة إلى محمد بن سليمان الكوفي فقط. ولعل هذا هو الذي أوقع كلا من بروكلمان(133)، وفؤاد سزكين(134)، ثم شاكر مصطفى(135)، وأيمن فؤاد سيد(136) في أن ينسبوا هذه السيرة إليهما معا.

على أن هناك إشاراتٍ وردت في السيرة توهم أنها من تأليف القاضي محمد بن سليمان الكوفي أيضا، ومنها قولٌ له حيث قال: "وذلك أن أبا القاسم [المرتضى ابن الهادي إلى الحق] كان قبل ذلك في خيوان، وكنا معه"(137)؛ إذ أن العلوي في ذلك الوقت في سنة 285هـ لم يكن قد وصل إلى اليمن، كما ذكرت السيرة بلسانه أنه لم يقم مع يحيى بن عمر العلوي الثائر بالكوفة[138] سنة 248هـ/ 862م، وهذا التاريخ حصل قبل ولادة العلوي نفسه، وفي بعض المواضع تتحدَّثُ السيرة عن العلوي بضمير الغائب أو بذكر اسمه ظاهرا، كما في هذا النص القائل: "فلما رأى ذلك علي بن محمد ومحمد بن القاسم"، وغير ذلك(139). وتفسير ذلك هو أن المؤلف ضمَّن كتابه هذا ما كان قد كتبه القاضي محمد بن سليمان الكوفي عن أخبار الإمام الهادي إلى الحق وفضائله وإثبات إمامته، وكان يروي ما نقله عن الكوفي بلفظه، بعد أن يضع في مقدمة تلك الروايات سنده، فيقول: "علي بن محمد، قال: حدَّثني محمد بن سليمان"[140]، ثم يأتي برواية الكوفي وقد تكون طويلة، ثم يَرِدُ فيها الفعل منسوبا إلى الكوفي نفسه، وهذا ما أوقع النساخ – فيما يبدو – في أن ينسبوا السيرة إليه بجانب مؤلِّفها العلوي، رغم أن العلوي كان يفتتح تلك الروايات بسنده هو، ويروي عن الكوفي وعن غيره، ويذكر الروايات التي شاهدها بنفسه.

ومن حسن الحظ أنه يمكن تلمُّس ملامح كتاب الكوفي، وأوله وآخره، بين ثنايا نصِّ العلوي، فهو يقول في ما رواه عنه العلوي بدون تغيير: "فصالحوهم [أهل الكتاب في اليمن] على ما سنشرحه في آخر كتابنا – إن شاء الله –"[141]، على الرغم أن آخر كتاب الكوفي لا يعني أنه آخر كتاب العلوي، بل إنّ صلح الإمام الهادي إلى الحق مع أهل الذمة المشار إليه في النص السابق ورد بعد حوالي 10 أوراق فقط من هذا الموضع[142].

إن سكوت السيرة عن الأحداث التي حدثت بعد وفاة الإمام الهادي إلى الحق إلى حياة ولده الإمام الناصر حيث عاش القاضي محمد بن سليمان الكوفي، وألف

(132) نسخة (ي) سميتها كذلك نسبة إلى مالكها حي السيد العلامة يحيى بن علي الذارحي، تعود إلى القرن السابع الهجري وما قبله، لكن قد تعرَّض أولُها حتى لقطة (22/ أ) منها للتلف أو الضياع، وتم استعاضتها هي وآخر صفحة فيها بأوراقٍ عثمانية، بتاريخ 10 ربيع الأول، لعله في عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (ت1087هـ/1676م)، ونُسِخَتْ هذه الأوراق المستعاضة عن نسخة للسيد العلامة الأمير محمد بن الحسن بن القاسم (ت1079هـ/1668م)، وتقع في 141 ورقة.

(133) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج3، ص85.

(134) سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ/ 1991م، مج1، ج2، ص209.

(135) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص330.

(136) سيد، أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1974م، ص82، 83.

(137) العلوي: السيرة، ل32/ أ.

(138) العلوي: السيرة، ل9/ ب.

(139) العلوي: السيرة، ل65/ ب، 66/ أ، 67/ أ، 70/ أ.

(140) العلوي: السيرة، ل6/ أ.

(141) العلوي: السيرة، ل13/ ب.

(142) العلوي: السيرة، ل22/ أ– 24/ أ.

فيها أيضا، ومارس نشاطا علميا، يشير إلى أن القاضي الكوفي ليس هو مؤلف هذه السيرة بهذا الشكل الذي وصل إلينا، وأما حديث العلوي عن نفسه بصيغة الاسم الظاهر فذلك من باب التواضع، كما أنه أسلوبٌ درج عليه بعضُ المصنفين في ذلك الوقت وغيره، ومنهم المؤرخ والجغرافي اليمني الكبير الهمداني[143].

والواقع أن شخصية المؤلف العلوي موجودة بقوة في تفاصيل الكتاب من أوله إلى آخره، بحيث يتضح قطعا أنه هو كاتب هذا الكتاب بصورته الحالية، من خلال وجودِ اسمه في أول الكثير من أسانيده، وفي أول الكثير من فقراته، ومن خلال تصريحه فيه بألفاظٍ من قبيل "والدي محمد بن عبيد الله"، و"أبي محمد بن عبيد الله"، و"سألت أبي"، وقول أبيه له: "فلما سمِعْتَ – يا بنيَّ –"(144)، ولهذا لم يشكَّ مؤرخو الزيدية في أنه هو مصنف السيرة، فالمؤرِّخ الإمام أبو طالب الهاروني (ت424هـ/ 1032م) صرَّح في الإفادة(145) قائلا: "وقد ذكرها العباسي المصنِّف لسيرته"، وقال في موضع آخر(146): "وقد صنف علي بن محمد بن عبيد الله العلوي العباسي سيره، وجمع في كتابه أكثرها". ومثله الشيخ أبو الحسن علي بن بلال (ت ق5هـ/11م) قال[147]: "جملة من أخبار الهادي إلى الحق المنتخبة من كتاب السيرة التي جمعها علي بن محمد بن عبيد الله العباسي". وقال الشرفي[148] (ت1055هـ/1645م): "قال مؤلف سيرته... وهو علي بن محمد بن عبيد الله من ولد العباس بن علي بن أبي طالب... المقبور بخيوان"، وروى ابن أبي الرجال(149)(1092هـ/1681م) عن السيد العلامة محمد بن عبد الله الوزير[150] (ت897هـ/1491م) أنه قال: "هو مصنف سيرة الهادي..."، وغيرهم.

وبهذا العرض يتبين وضوح الأدلة النصيّة والداخلية في مخطوط سيرة الإمام الهادي إلى الحق، إلى جانب الشواهد الخارجية في المصادر الزيدية المتقدمة، أن مؤلف السيرة بصيغتها المتكاملة هو علي بن محمد بن عبيد الله العلوي العباسي، لا القاضي محمد بن سليمان الكوفي، وإن كان الأخير أحد أهم مصادره التي نقل عنها المؤلف بنصوصها وسندها، فالمقارنة الدقيقة بين الأساليب والسياقات والروايات تثبت حضور شخصية العلوي بوضوح في معظم فقرات الكتاب، كما أن تواتر نسبة السيرة إليه في مؤلفات كبار المؤرخين الزيديين يؤكد استقلاله، من ثَمَّ صياغة السيرة في صورتها النهائية.

**المطلب الثاني: مفهوم السيرة والتأليف فيها:**

السيرة مشتقة من السَّيْر، وهو المُضِيُّ في الأرض[151]، وتطلق على الطريقة[152]، أو على "الحالة التي يكون عليها الإنسان أو غيره، يقال: فلان

(143) الإكليل، ج8، ص34، 64، 77، 95.

(144) العلوي: السيرة، ل10/ أ، 11/ أ، 21/ ب، 42/ ب، 55/ ب، 99/ أ، 101/ ب، 120/ ب.

(145) ص99– 100.

(146) الإفادة، ص113.

(147) تتمة المصابيح، ص576، 583.

(148) الشرفي، أحمد بن محمد (ت1055هـ): اللآلي المضيّة، مخطوط موجود بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، لدي صورة إلكترونية، ج1، ص456.

(149) مطلع البدور، ج3، ص223.

(150) الوزير: عالم أديب إمام في علم الأنساب. الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج2، ص280– 281.

(151) الأصفهاني، الحسين بن محمد، الراغب (ت502هـ): مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ص509.

(152) المرتضى، أحمد بن يحيى، المهدي (ت840هـ): البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، تصوير في 1409هـ/ 1988م عن الطبعة الأولى في 1366هـ/ 1947م، ج5، ص371.

له سيرة حسنة، وسيرة قبيحة، وقوله تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾[153]، أي: الحالة التي كانت العصا عليها من كونها عودا"[154].

وقد غلب لفظ (السيرة) في لسان الفقهاء على "الطرائقِ المأمورِ بها في غزوِ الكفار وما يتعلق بها"، "وسُمِّيَتِ المغازي سِيَرًا؛ لأنَّ أوَّلَ أمورها السيرُ إلى العدو، والمراد بها سير الإمام ومعاملاته مع الغزاة والأنصار، ومنع العداة والكفار"[155].

اشتهر هذا المفهومُ في كتب الفقه والحديث الزيدية منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، فهناك باب في كتاب مسند الإمام زيد بن علي( 156 ) (ت122هـ/739م) تحت عنوان (كتاب السير وما جاء في ذلك)، وللإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية (ت145هـ/762م) كتاب السير (157)، وحتى الإمام الهادي نفسه عقَدَ كتابًا في الأحكام(158) تحت عنوان (كتاب السير)، وأورد تحته صفة الإمام، ومتى تثبت إمامته، ومتى تسقط، وما يجب عليه للرعية، وما يجب على الرعية له، والقيم والقواعد والأسس التي ينبغي عليه اتباعها في مواجهة المشركين وأهل البغي قبل حربهم وأثناءها وبعدها، وغير ذلك.

وقد جُمِعَت (السيرة) على (سِيَر)؛ باعتبار أن للإمام سِيَرًا متعددة، فله "في جملة المسلمين من المساكين والأيتام وسائر مصالح المسلمين سيرة، وفي البغاة سيرة، وفي المحاربين سيرة، وفي الحربيين سيرة، وفي أهل الذمة سيرة"[159].

بيد أن هناك فرعا من فروع الكتابة التاريخية، وهو السيرة، الذي ظهر بمعنى "الترجمة المأثورة لحياة النبي محمد –صلى الله عليه وآله وسلم–"، "ويظهر أن هذه الكلمة قد استُعْمِلَتْ أول ما استعملت للدلالة على بابٍ قائمٍ بذاته، في عنوانِ مؤلف ابن هشام[160] (طبعة فستنفلد ص3، س4): هذا كتاب سيرة رسول الله"(161)، لكنه أيضا مفهوم متصل بالمعنى اللغوي لكلمة سيرة كما تقدم.

وفي ما يتعلق بـ(السير) لغير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنَّ ابن النديم[162] ذكر أنّ للواقدي محمد بن عمر (ت207هـ/ 823م) (سيرة أبي بكر)، ولعوانة بن الحكم الكلبي (ت147هـ أو 158هـ/ 764م أو 774م) كتاب (سيرة معاوية بن أبي سفيان)، وهناك كتاب (سيرة الحسين) لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت157هـ/774م)، و(سيرة عمر بن عبدالعزيز) لأبي محمد عبد الله بن عبد

(153) طه: 21.

(154) الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص510.

(155) الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، ط2، ج16، ص124– 125.

(156) الإمام زيد بن علي، (ت122هـ): مسند الإمام زيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ص313.

(157) الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ج2، ص267.

(158) الهادي، يحيى بن الحسين (ت298هـ): الأحكام في الحلال والحرام، تح: المرتضى المحطوري، مكتبة بدر، صنعاء، ط2، 1435هـ/ 2014م، ج2، ص386.

(159) العنسي، أحمد بن قاسم: التاج المذهب لأحكام المذهب، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1414هـ/ 1993م، ج4، ص404.

(160) ابن هشام: عبدالملك بن هشام الحميري، عالم بالأنساب واللغة وأخبار العرب، وأشهر كتبه (السيرة النبوية)، توفي في 213هـ/ 828م. الزركلي: الأعلام، ج4، ص166.

(161) فيدا، ليفي دلا: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج19، ص6014، مادة سيرة.

(162) ابن النديم، محمد بن إسحاق الوراق البغدادي (ت438هـ): الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1417 هـ/ 1997م، ص120، 127.

الحكم المصري (ت214هـ/ 829م)(163)، وهناك كتب كتبها آخرون عن أخبار الإمام الحسين والإمام زيد بن علي وآخرين، وإن لم تكن بلفظ سيرة.

غير أن روزنثال(164) ذكر أن "الكتب الأُوَلَ عن العلويين كالحسين أو زيد بن علي"، "إذا حكمنا عليها من عناوينها فإننا نستطيع القول بأنها لم تهتم بتراجم أبطالها، بل بوصف استشهادهم وبأعمالهم العظيمة أو الخالدة في التاريخ"، وأضاف: "إن كثيرا من المؤلفات الأولى التي توحي عناوينها بأنها كتب تراجم يجب أن نشك بأمرها، ولا نعتبرها كتب تراجم حقيقية في معظم الأحوال".

أراد بعض الحكام تسجيل أعمالهم لترويها الأجيال بعدهم، ومن نماذج هذه السير "كتاب أفرده بعضهم عن المأمون"[165]، وذكر سنان بن ثابت بن قرة أن المعتضد العباسي (ت289هـ/ 902م) كان يتابع أباه ثابتًا في "إعداد ترجمة رسمية لحياته"، ثم أكملها سنان[166]، ويبدو أن رغبة المعتضد ناتجة عن شعوره بأنه خليفة مختلِف عن مَنْ سبقه في الحزم وإعادة الاعتبار للخلافة العباسية، ولذا لا بد أن توثق سيرته في كتاب خاص.

في ذات المدة في آخر النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بدأت محاولة القاضي محمد بن سليمان الكوفي بإعداد سيرة للإمام الهادي إلى الحق، وانتهت بالسيرة التي كتبها العلوي كنتاج متفرّد وغير مسبوق في العالم الإسلامي، حَمَلَتِ الباحث عبد الله الحبشي[167] على القول: إن السِّيَر "في عمومها سجلٌّ سياسي عملي يكاد ينفرد به تراث اليمن عن سائر ما أنتجه العالم الإسلامي من تراث سياسي آخر"، ويقول الدكتور رضوان السيد[168]: "أما السيرة بالمعنى المفهوم لها اليوم (أي الترجمة الشخصية) فقد افتتح التأليفَ فيها عليُّ بن محمد العلوي صاحب الهادي إلى الحق"، ومع ذلك فإنّ ما يميز سيرة العلوي عن معاصِرَتها سيرةِ المعتضد أنها كُتِبَتْ بدافع المحبة واعتقاد إمامة صاحبها الهادي إلى الحق وتفرُّده بخصال الفضل، ومشابهته لجده رسول الله، ولم تكتب بدافع التزلُّف والتودُّد للحاكم؛ بدليل أن كاتبها العلوي ترك أهله وماله ووطنه وخرج مهاجرا فور بلوغه سن الرشد، استجابة للواجب الشرعي الذي كان يعتقده، واستعد للتضحية بنفسه وماله وأهله لنصرة المشروع الذي يقوده صاحب هذه السيرة.

ومع ما سبق، فإن سيرة العلوي ليست سوى تسجيل لطريقة وحياة الهادي إلى الحق الجهادية والعملية، ولا تترجم له من الناحية الشخصية إلا بطريقة عرضية، أي أنها كانت توثّق وتسجّل حياته وطريقته وسيرته العملية؛ لمّا كان الفقهاء ومنهم الزيدية بل والإمام الهادي إلى الحق نفسه قد اعتادوا أن يكتبوا السير بطريقة نظرية في (كتاب السير) من كتب الفقه، وبهذا

(163) سزكين: تاريخ التراث العربي، مج1، ج2، ص129، ج3، ص147.

(164) روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ/ 1983م، ص145.

(165) مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ص368.

(166) روزنثال: علم التاريخ، ص146.

(167) ينظر: ابن يعقوب، الحسين بن أحمد بن يعقوب (ق4هـ): سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تح: عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط1، 1417هـ/ 1996م، مقدمة المحقق، ص11.

(168) ينظر: الربعي، مفرح بن أحمد (ق5هـ): سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تح: رضوان السيد، وعبدالغني عبد العاطي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م، مقدمة التحقيق، ص33.

تتخذ سيرة الإمام الهادي إلى الحق منحىً متميّزًا عما عُرِفَ في التاريخ بكتب التراجم الشخصية.

في كتاب الجملة[169] الذي كتبه الإمام الهادي إلى الحق ردًّا على أسئلة أهل صنعاء ذكر نصًّا يسلط الضوء على مفهوم السيرة لديه، وأن سيرته تتصل بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: "وسيرتنا في ولينا كسيرة نبينا عليه وعلى آله السلام في ولينا، وسيرتنا في عدونا كسيرة نبينا في عدونا". أما المؤلف فقد أورد لفظة (سيرة) في مواضع عديدة من سيرته في سياق حديثه عن سيرة الهادي وولاته، جميعها تدل على أنه يقصد طريقته في الإدارة والحكم والتعامل مع أتباعه وخصومه، ومن ذلك قوله عن أهل اليمن: إنه سرَّهم "ما كان من دعوته لهم، وما تناهى إليهم من خبر سيرته"[170]، وأن الإمام الهادي إلى الحق عندما وصل نجران "أظهر عدله، وشهر سيرته، وردَّ المظالم..."[171]، وأن الإمام الهادي إلى الحق قال يوما في سياق تأكيده على الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "ولا أتعدّى سيرة جدي رسول الله..."[172]، وهو يريد سيرته في العدل والإنصاف وطريقته الفاضلة في الإدارة والحكم، والحرب والسلم. ومثلما أطلق المؤلف لفظة سيرة على طريقة الإمام الهادي إلى الحق في الإدارة والحكم والحرب والسلم، أطلقها أيضا على ما كتبه كانعكاس لهذا الواقع، فقد سمّى كتابه (سيرة الإمام الهادي إلى الحق) كما هو في العنوان، وقال أيضا في آخر كتابه مشيرا إلى حكاية تقدَّمت في أوله، فقال: "حكاية الخبر في ما تقدم في سِيَرِ الهادي إلى الحق – أعزه الله –"[173]. وهذا المعنى هو الذي ظلّ يطرقه أولاده وتلامذته بعده، ومنهم ولده الإمام محمد المرتضى حيث يقول: "وفي قتال الظالمين سير مذكورة، وأخبار صحيحة... وسير الحرب دقيق علمها، وغامض تفسيرها، لا يخلصها ولا يقوم بها، ولا بما أوجب الله سبحانه فيها إلا أهل العلم والمعرفة والديانة والبصيرة"( 174 )، وقد خاطب الشاعر عبدالله بن أحمد التميمي (ت ق3هـ)(175) ولده الإمام الناصر أحمد يوم بيعته بقوله شعرا:

"ذكَّرْتَنا سيرة الهادي وقمْتَ بها

وسِرْتَ فينا تعز الدين والحسبا"[176]

وبهذا يتبيّن من تتبّع مفهوم السيرة وتطوّر التأليف فيها أن هذا المصطلح نشأ أولاً في دلالته اللغوية والفقهية الدالة على «الطريقة» و«المنهج العملي للإمام في الحكم والجهاد»، ثم تطوّر ليعبّر عن فنٍّ تاريخي يدوّن حياة الشخصيات الكبرى وأعمالهم. غير أن سيرة الإمام الهادي إلى الحق التي صنّفها علي بن محمد العلوي تمثّل نقلةً نوعية في هذا الفن؛ إذ جمعت بين

(169) الهادي إلى الحق: مجموع رسائل الإمام الهادي، ص189.

(170) العلوي: السيرة، ل19/ ب.

(171) العلوي: السيرة، ل20/ ب.

(172) العلوي: السيرة، ل21/ ب.

(173) السيرة، ل132/ ب.

(174) المرتضى، محمد بن يحيى بن الحسين، أبو القاسم (ت310هـ): مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، مسائل عبد الله بن الحسن، تح: عبدالكريم جدبان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط1، 1423هـ/ 2002م، ج2، ص539- 540.

(175) عبد الله بن أحمد التميمي، أبو محمد، كان علامة رئيسا فاضلا شاعرا بليغا، قالوا: "وعدُّه في العلماء أولى من عدِّه في الشعراء"، وكان مسكنه قريبا من ديار الأباضية، وهو الذي سأل الإمام الناصر أحمد بمسائل كانت الأباضية قد سألوه بها، فأجابهم الناصر بكتابه (الرد على الأباضية)، وقد أجاب على الهادي بقصيدة وجّهها إلى الدُّعَام بن إبراهيم. ينظر: العلوي: السيرة، ل112/ ب، والناصر، أحمد بن يحيى بن الحسين (ت322هـ): الرد على الإباضية، مجموع كتب الإمام الناصر أحمد، تح: عبدالكريم جدبان، ط1، 1433هـ/ 2012م، ج2، ص175، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج3، ص68- 70.

المنحى الفقهي العملي والمنهج التاريخي التوثيقي، فجعلت من السيرة سجلًّا فكريًّا وسياسيًّا يجسد تطبيق مبادئ الإمامة العادلة في الواقع، ويؤكد اتصال سيرة الإمام بسيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا تعدّ سيرة العلوي من أوائل النماذج التاريخية التي تجاوزت الطابع الوصفي إلى رؤيةٍ منهجيةٍ تُقَدِّم السيرة بوصفها إطارًا نظريًّا وعمليًّا للحكم الرشيد والنهج الرسالي في التاريخ الإسلامي.

**المطلب الثالث: لغتها وأسلوبها:**

تميَّزَتْ لغة المؤلف بالبساطة والوضوح، وكانت عباراته فصيحة معبِّرة، وذات نَفَسٍ قصير، وأبعد ما تكون عن التكلف والسجع، وهي أصدق تعبير عن روح عصره الذي كُتِبَتْ فيه، كما تناولت وصف الأحداث وذكر تطوراتها بطريقة سلسة موجَزة، لا تُشْعِرُ بالإطناب الممل، ولا الاختصار المخل.

كما تميزت عبارات وتراكيب المؤلف بالفصاحة وموافقتها لقواعد اللغة السليمة واستعمالاتها، ولم يسجِّل الباحث عليه – في حدود معرفته – مخالفة لغوية أو نحوية في حدود ما يعلم، إلا عبارة عامية، وتركيبا عاميا، ورد في عدد من المواضع، وهو قوله نقلا عن كلام الدُّعَام مخاطبا الإمام الهادي إلى الحق: "قد استوت لك الأمور، واستوثقْتُ لك من القوم، وليس عاد إلا النهوض"[176]، أي بمعنى: "ولم يبق إلا النهوض"، وورد في موضع آخر قوله: "وعلم أن الطبريين ليس عاد لهم منفذ"[177]، أي: "لم يعد لهم منفذ"، أو "لم يبق لهم منفذ"، وفي موضع ثالث وردت عبارة: "فلمَّا لم يلقوه علم القوم أن عاده في القرية"[178]، أي أنه "لا زال في القرية". وفي موضعٍ رابع ورد على لسان الحسن البعداني، أحد أنصار الإمام الهادي إلى الحق قوله: "أنه لم عاد يحصل في أيدينا"[179]، أي: "لم يعد يحصل في أيدينا". وهذه العبارة لا تزال مستخدمة في أوساط العامة من الناس حتى يومنا هذا، بل وقد وقع مثلها في بعض الكتب التاريخية[180].

والحقيقة أنه يستغرب وقوع مثل هذا اللحن النادر من المؤلف؛ لما كان عليه من الفصاحة والمعرفة، فهل أضيفت هذه العبارات من قبل النساخ المتأخرين أم وقعت من المؤلف نفسه؟

إن احتمال وقوعها من النساخ أمر وارد، ومع ذلك فاحتمال وقوعها من المؤلف أمر قائم أيضا؛ إذ عاش في القرن3هـ/ 9م، وهو عصر لم يعد من العصور التي يؤمَنُ فيها وقوعُ اللحن؛ إذ رفض العلماءُ الاحتجاجَ بأقوال وأشعار المُحْدَثين ممّن جاءوا بعد منتصف القرن الثاني الهجري(181)، والسبب أن لغتهم لم تعد مأمونة من اللحن والانحراف، بل ذكروا أن أفرادا من المشاهير وقع منهم اللحن في العصور التي يُحْتَجُّ فيها بأقوال أهلها وأشعارهم، ومن أولئك الإمام مالك بن أنس الأصبحي فقيه المدينة (ت179هـ/795م)(182).

(176) العلوي: السيرة، ل84/ ب.

(177) العلوي: السيرة، ل85/ ب.

(178) العلوي: السيرة، ل125/ أ.

(179) العلوي: السيرة، ل127/ ب.

(180) الطبري: تاريخ صنعاء، ص170(الملحق)، والعبارة هي: "ولم عاد يقضضه".

(181) الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/ 1987م، ص19.

(182) سليم، عبدالفتاح: اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1409هـ/ 1989م، ص268.

وإذا عرفنا أن المؤلف نشأ في المدينة وهي إحدى حواضر الحجاز، الذي هو الآخر "لم يكن بمعزل عن العالم المحيط به حتى تسلم لغته الفصحى من اللحن"(183) فإنه من الجائز أن يكون اللحن وقع من المؤلف نفسه، لا سيما ومؤرخ اليمن الهمداني[184] عدَّ قرى الحجاز ضمن البلدان التي لم تكن فيها فصاحة، وأول تلك القرى المدينة المنورة. كما تشير الفجوات التي تركها المؤلف في ثنايا الكتاب إلى أنه لم يتمكن من إلقاء النظرة الأخيرة على الكتاب، وتصحيحه بالشكل النهائي؛ الأمر الذي سهَّل بقاءَ هذه المواضع القليلة التي وقع فيها هذا اللحن.

يخلص الباحث من هذا أن لغة سيرة الإمام الهادي إلى الحق تمثل نموذجًا راقيًا للفصاحة والوضوح في الكتابة التاريخية في القرن الثالث الهجري؛ إذ اتسم أسلوب المؤلف علي بن محمد العلوي بالبساطة والدقة والبعد عن التكلّف، مما أكسب النص طابعًا موضوعيًا حيًّا. ورغم ورود بعض التراكيب العامية النادرة، فإنها لا تنال من جزالة أسلوبه ولا من مكانته اللغوية، ويرجّح أن تكون من إضافات النساخ أو من انعكاسات البيئة اللغوية في المدينة المنوّرة آنذاك.

**المطلب الرابع: منهجها التاريخي:**

لم يذكر المؤلف منهجه في الجمع والصياغة والترتيب والتبويب، وهذا ما جعل الباحث يحاول استقراء تلك الأمور من خلال السيرة نفسها، ومن بين ثنايا سطورها.

-جمع المعلومات: جمع المؤلف معلوماته بشكل فاحص، ويظهر أن جمعه للمعلومات استمرّ سنينًا، فهو على سبيل المثال يروي أحداث الإمام الهادي إلى الحق مع الدُّعَام في سنة 285هـ/ 898م عن القاضي محمد بن سليمان الكوفي وغيره، لكنه يُورِد معلومة عن تلك الحرب من رواية سعيد بن موسى بن أبي سورة[185] بعد أن انتقل من صف الدُّعَام إلى صف الهادي إلى الحق، ورابط في نجران، والتقى به هناك، لعله في 295هـ/ 907م(186)، وهو أمر يفيد اهتمامه بتطوير معلوماته وإلحاقها بموضعها.

-طرق جمع المعلومات وروايتها: اعتمد على مؤلَّف القاضي محمد بن سليمان الكوفي في أخبار الإمام الهادي إلى الحق في كثير من معلوماته التي رواها عنه، وحين يورد تلك المعلومات فإنه يستخدم في بعضها طريق العنعنة، "علي بن محمد، عن محمد بن سليمان..."(187)، وهي طريقة تحتمل أنه قرأ عليه، أو سمع عليه تلك المرويات، وتحتمل أنه استفادها منه بطريقة الإجازة.

كما أنه روى عنه بطريقة التحديث والإخبار، مثل: "حدثني محمد بن سليمان..."[188]، و"حدثني محمد بن سليمان، قال: خبّرني بعض أصحابنا"[189]، "حدثني محمد بن سليمان، قال: حدثني أحمد بن

(183) سليم: اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، ص264.

(184) صفة جزيرة العرب، ص250.

(185) سعيد بن موسى بن أبي سورة: من فرسان اليمن المعدودين، قاتل بين يدي الدُّعَام في أول أمره ضد الإمام الهادي إلى الحق، ثم انضم إلى صفوف مقاتليه، وكُلِّف بالمرابطة في نجران مع محمد بن عبيد الله – والد المؤلف –، وكان قائد فصيل فيها، وهو أحد مصادر هذه السيرة. العلوي: السيرة، ل33/ أ، 118/ أ، 120/ أ.

(186) العلوي: السيرة، ل33/ أ.

(187) العلوي: السيرة، ل17/ ب، 18/ ب، 19/ أ.

(188) العلوي: السيرة، ل18/ أ.

(189) العلوي: السيرة، ل44/ ب.

الضحاك[190] "[191]، وهو أمر يشير إلى تتلمذه عليه إما بقراءة الشيخ عليه وهو يسمع، أو العكس. ومثال ذلك معلوماته التي استقاها عن أبيه وآخَرين، فقد استخدم عبارات التلقي والرواية، مثل: "وسمعت..."، "خبّرني..."، "حدثني..."، "سألت..."، "سمعنا..."، "ولقد بلغنا..."[192]، وهي عبارات كان المؤلف يفتتح بذكرها كثيرًا من معلوماته التي يوردها في مختلف الأحداث، وتفيد سماعَه لتلك الروايات من أولئك الشيوخ، أو قراءته لها عليهم، أو مشافهتهم له بها؛ الأمر الذي يشير إلى حرصه على تدوين تلك الروايات، وعلى طريقة حصوله عليها، كما يبيّن اهتمامه بقضية الإسناد، وهي قضية كانت مطروحة، ويتداولها المحدثون في ذلك العصر على نحوٍ واسع، وتفيد طمأنة القارئ بصحة تلك المعلومات ومضمونها.

–تعريف مصادره وتوثيقهم: كان المؤلف يُعَرِّف بعضا من أولئك الشيوخ الذين نقل عنهم معلوماته، فيقول مثلا: "خبَّرَني عبيد الله بن حذيف، رجل كان يقوم للهادي ببعض أمره"[193]؛ ليفيد مدى قربه من الهادي إلى الحق، وأنه مصدر أصيل مشافهٌ لمضمون الرواية، وقد لا يُسَمِّي مصدر معلوماته إما لخطورة معلوماته مثل قوله: "ولقد سمعت مَنْ أثق به..."[194]، ولكنه كان يطمئن القارئ أن الراوي ثقة، وقد تكرَّرَ قوله: "من أثق به"، في مواضع عديدة، ومنها وهو يتحدث عن معلومات حول خصوم الإمام الهادي إلى الحق. وربما كانت المعلومات استخباراتية من بين صفوف الخصوم، ولم يشأ الإفصاح عنهم، فهو يقول: "حدَّثني من أثق به أن عسكرهم كان في ذلك اليوم زهاء اثني عشر ألفا..."(195).

–معالجته للروايات المتعددة: كان المؤلِّف يجمع روايات جماعة في رواية واحدة إذا كان مضمونها واحدا(196) طلبا للاختصار، ومع ذلك فهو يفيد أن المؤلف عالج معلوماته التي جمعها بطريقة فنية ودرسها، ثم صاغها بطريقة مرتَّبة. ويبدو من خلال ذلك أنه كان لا يروي إلا ما يثق أنه صحيح، ويفيد قوله: "أثق به" ذلك، وقد ظهر جليا على مضمون تلك الروايات؛ إذ بدت قريبة من الواقع ومن المنطق التاريخي، بعيدة عن المبالغات والخرافات.

–الجانب الفني في ترتيب الكتاب: لا يبدو أن السيرة التزمت بشكل دقيق بالشكل الواضح للكتاب من حيث: المقدمة، والمتن، والخاتمة، فمقدِّمتها لم تتحدث عن سبب التأليف، ولا عن أهميتها، ولا عن مصادرها، ولا الأهداف المتوخَّاة، كما أنها بلا خاتمة، إذ ربما داهم الموتُ مؤلّفها ولمّا يُكْمِلْ تأليفَ هذه السيرة بالشكل الذي كان يرجوه. كما لم يتمَّ عنونة موضوعات الكتاب بشكل دقيق، ويبدو من خلال كثيرٍ من العناوين أنها

(190) أحمد بن محمد بن الضحاك، زعيم قبيلة حاشد في عصر الإمام الهادي وأبنائه، عارض الهادي في شبابه وفتوته، وقاتله مع بني طريف، ثم صافى ولديه المرتضى والناصر، وكان له دور قوي في أحداث أحفاده، وكان عالم همدان، وسيدها، وفقيهها، والمقصود إليه في ذلك. العلوي: السيرة، ل29/ أ، والهمداني: الإكليل، ج10، ص67– 68، وابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج1، ص449– 450.

(191) العلوي: السيرة، ل46/ ب.

(192) العلوي: السيرة، ل19/ ب، 21/ أ، 25/ ب، 28/ أ، ب، 29/ ب، 30/ ب، 33/ أ، 39/ ب، 44/ ب، 61/ ب، 71/ أ، 81/ ب، 93/ أ، 128/ ب.

(193) العلوي: السيرة، ل18/ أ.

(194) العلوي: السيرة، ل29/ ب.

(195) العلوي: السيرة، ل78/ ب– 79/ أ.

(196) العلوي: السيرة، ل19/ ب، 33/ ب، 61/ ب.

مُقْحَمَة على النص(197)، فهل تم وضعها لاحقا من قبل شخص آخر، أم وضَعَها المؤلِّفُ نفسُه؟ الذي يترجَّح أنها من وضع المؤلف نفسه، ولكن وضعها بعد أن أكمل كتابة النص، بدليل أنه في بعض العناوين قد يضيف معلومات لم تُذْكَر في النص[198]، وهذا لا يتأتَّى إلا للمؤلف نفسه.

-مقدمة موضوع وليست مقدمة كتاب: كتب المؤلف مُقَدِّمة، ولكنها تحدَّثَتْ عن ما افترض الله على عباده، وأول تلك الفروض معرفته تعالى، وصولا إلى واجب "المباينة للظالمين، والمحاربة للفاسقين، مع الأئمة العادلين، من ولد الحسن والحسين"، الذين "فرض الله على الأمة طاعتهم"، ثم ذكر آيات الجهاد، وآثارًا عن قرب ظهور العدل على يد القائمين من أهل البيت، ثم صفات القائم، ثم ذكر الآثار التي تشير إلى أنَّ الإمام في ذلك الزمان هو الهادي إلى الحق، وأنه سيخرج في اليمن، ثم بدأ بعد ذلك بسرد الأحداث[199].

وبهذا يظهر أنها مقدمة موضوع السيرة، وهو الإمام الهادي إلى الحق ووجوب الجهاد معه، وليست مقدِّمة للكتاب، وكأن المؤلف كان من ضمن أهدافه في التأليف هو حشد الأتباع وحث المسلمين على الالتحاق بالإمام الهادي إلى الحق بوصفه الذي يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق تمثيل بسيرته التي تشبه سيرته.

-الطريقة الموضوعية المتسلسلة: مع أن السيرة لم تتضمَّنْ أبوابًا ولا فصولا محدَّدة كما يصنع المؤلفون في العادة إلا أن المؤلف - على رغم صغر سنه - تمتَّع بعقلية فنية منظَّمة في سرد أحداث هذه السيرة متسلسلة متعاقبة، ورتّب أحداثها حدَثًا بعد حَدَثٍ بحسب تسلسلها الزمني وتفاعلها مع بعضها بدءا بأحداثِ آخِرِ سنة 283هـ/897م وصولا إلى أحداث آخر سنة 295هـ/908م، مع وجود بعض الفجوات الزمنية التي لم تغطِّها.

لم يلتزم المؤلف بالمنهج الحولي بشكل حرفي، فهو لا يذكر دخول العام، ثم الأحداث التي جرت فيه، بطريقة تعمل على تجزئتها حسب أعوامها كما هو شأن المنهج الحولي، بل جعلَ الإمامَ الهادي إلى الحق موضوع الكتاب، الذي تتمحور حوله الأحداث مذكورة مرتَّبة بطريقة زمنية متسلسلة متعاقبة، تتفاعل مع بعضها، ويأخذ بعضها بالآخر بتصويرٍ أخاذ، ولفظ دقيق، وإذا ذكر مثلا أحداثا في آخر عام 283هـ، لم يذكر دخول سنة 284هـ بعدها، بل يذهب مباشرة لسرد أحداث 284هـ مؤرِّخًا لها باليوم والشهر في السنة الجديدة، فقال: "فوصل إلى صعدة لستة أيام خلون من صفر سنة 284هـ، فقدمنا على خولان..."[200]، وبتلك الطريقة في الاستفادة من تحديد الزمن مضى من أول الكتاب إلى آخره، وقد كان يقيّد أحداثه بذكر الزمن من اليوم والشهر والسنة في أول كل حدث إذا أمكن له ذلك، وإلا اكتفى بذكر ما تيسر له من اليوم أو الشهر مع السنة، ثم يمضي في تفصيله سببا ومتنا وتطورات ونتائج.

-الاستطراد لدعم موقفه من الإمام الهادي إلى الحق: كان كثيرا ما يستطرد حيثما يعنُّ له سببٌ يتيح له ذلك الاستطراد، فبينما كان يذكر وصول كتب الإمام

(197) على سبيل المثال انظر: العلوي: السيرة، ل53/ أ، 60/ ب، 64/ أ، 70/ ب، 76/ ب، 77/ ب.

(198) العلوي: السيرة، ل76/ ب، 77/ ب.

(199) العلوي: السيرة، ل5/ ب- 9/ أ.

(200) العلوي: السيرة، ل12/ أ.

الهادي إلى الحق إلى المدينة ويذكر وصول وفدٍ وَكُتُبٍ من أهل اليمن يدعونه إلى بلادهم استطرد بأن الإمام الهادي إلى الحق كان قد خرج إلى اليمن سنة 28هـ/893م[201]. وبعد أن ذكر نسخة الدعوة التي بعثها الإمام الهادي إلى الحق إلى أهل اليمن، ذهب يسرد أقواله حول تلك الدعوة وإخلاصه لها، ثم خرج منها إلى ذكر باب تواضع يحيى بن الحسين، ثم ذكر باب ورع يحيى بن الحسين(202)، وكأنه كان يضع كل شيء بحسب وقوعه أو بحسب ما وقع له من مشاهدات أو بحسب تسلسله منطقيا. وأيضا بينما كان الإمام الهادي إلى الحق في نجران، إذ وقعت له ما أطلق عليها المؤلف "آيات"، واستجابة دعائه للطفل المصاب بالجُدَري، فإذا به قد استطرد بذكر نظائر لتلك القضية، ثم جرَّه ذلك إلى الجواب عن تساؤلٍ قد ينشأ، وهو: إذا كنتم تقولون: إن الهادي مستجاب الدعاء، فلماذا لا يدعو على خصومه، فيرتاح من معاناة مواجهتهم، فأصَّل للقضية تأصيلا فقهيا وتاريخيا بحسب ما كان يراه[203].

ويبدو أن الحديث عن كل ما يدعم موقف الإمام الهادي إلى الحق وأحقيته وتميزه كان مدعاة للاستطراد في معظم تلك المواضع التي استطرد فيها، لكنه مع ذلك كان استطرادا ضمن السياق التاريخي للأحداث.

–التمهيد بتعريف موجز: حين كان يذكر حدَثًا ببلد ما فإنه قد يمهِّد بالتعريف به قبليا، وربما عرَّفه طبوغرافيا بشكل مختصر، إن كان لذلك تأثير في الأحداث، ويذكر ظروف البلد، وأسباب الحدث، ثم الحدث، ثم نتائجه[204]، بطريقة متسلسلة، يستطيع المتابع أن يلحظ ترتيب أجزاء الحدث بطريقة منطقية، كما أن الحدث يرتبط بالحدث الآخر من خلال الخيط الزمني المتعاقب والمتفاعل الذي يُلْحَظ من وراء الأحداث.

–اعتماد رواية واحدة فقط: لم يحدث أن ذكر روايتين مختلفتين لحدَثٍ ما، بل اعتمد رواية واحدة فقط في جميع أحداث الكتاب، والسبب في ذلك هو أنه كان شاهدَ عيان، أو اعتمد على شهود عيان، وهو الأمر الذي قَلَّلَ فرص تعدُّد الروايات واختلاف المضامين، علاوة على أنه ربما كان يؤمن بالحَدِّية في الحدث، واعتباره شيئا واحدا لا اختلاف فيه، وأنه كان يريد من خلال كتابه هذا إنشاء وعي محدد لدى قارئه، وهذا لا يتأتى إلا من خلال رواية واحدة ونظرة واحدة.

–التعليل التاريخي: لقد ظهر وعيُه التاريخي في اتخاذه التعليل التاريخي منهجا لتفسيرِ كثيرٍ من أحداث كتابه، وقد علَّل كثيرا من جزئيات الأحداث بشكل جيد، فقد علل –مثلا– سبب استدعاء اليمنيين للإمام الهادي إلى الحق بأنه "عضَّهم البلاء"[205]، وعلّل مسارعة القبائل اليمنية لمكاتبة الهادي في صعدة واستدعائهم إياه منها؛ بأنهم سمعوا من أخباره وعدله وسيرته[206]، وعلَّل صعوبة سيطرة بني يُعْفِر على منطقة في خولان صعدة بسبب طبوغرافيتها الوعرة[207]، وأن الفريقين فريق الإمام الهادي إلى الحق وفريق الدُّعَام "لزم كل واحد منهم معسكره"، ولم يهاجم أحدهما الآخر ذات مرة؛ بسبب فشوِّ الجراح فيهم جميعا، وهجوم البرد، واشتداد الرياح في تلك المنطقة[208]، كما علل مبادرة

(201) العلوي: السيرة، ل10/ أ.
(202) العلوي: السيرة، ل14/ أ، 15/ ب، 17/ أ.
(203) العلوي: السيرة، ل43/ ب.
(204) ينظر على سبيل المثال: العلوي: السيرة، ل25/ ب– 26/ ب، 49/ ب– 50/ أ.
(205) العلوي: السيرة، ل10/ أ.
(206) العلوي: السيرة، ل19/ ب.
(207) العلوي: السيرة، ل25/ أ.
(208) العلوي: السيرة، ل33/ ب.

بعض القبائل إلى نهب أثافت[209] بتعليلٍ باعثٍ لهم على ذلك الفعل، على الرغم من أن المؤلف لم يُقِرَّهم عليه، واعتبره باعثا خطأ[210]، وهكذا ذهب يعلل كثيرا من أحداث الكتاب أو جزئيات تلك الأحداث، بأسبابٍ وعللٍ وغاياتٍ، بَرَهَنَتْ على وعيه التاريخي وفهمه العميق للعناصر المشكِّلة للحدث، التي كانت تبرهن على عمق فهمه للعلاقات الاجتماعية وطبيعة المجتمع والمكان والزمان وجميع العناصر التي تتشارك في صناعة الحدث نفسه[211].

–نظرية البطل التاريخية: لقد ظهر أثر نظرية البطل التاريخية في كتاب مؤلفنا هذا، كما ظهر فيه أن البطل هو الذي يصنع الحدث التاريخي في كثير من أحداث السيرة، وبطبيعة الحال، فالبطل هنا هو الإمام الهادي إلى الحق، الذي كثيرا ما حوّل مسار الأحداث، فحوَّل الهزيمة إلى نصر[212]، وتصدَّى في عدد قليل من جنوده للعدد الكثير من أعدائه[213]، وهو صاحب الصفات الفريدة، والخلال المتميزة، ورعا وفضلا ومكانة وشجاعة وعلما وإمكانات وقدرات، وهو الذي استطاع بحُنْكته وبصيرته وحسن سياسته الإصلاح بين القبائل في صعدة ونجران وخيوان، في الوقت الذي عجز عنه سواه من حكام اليُعْفِريين وغيرهم، "هيبة أعطاها الله تبارك وتعالى يحيى بن الحسين"[214]، بيد أنه من الواضح أنه يرى أن البطل التاريخي اكتسب هذه البطولة بتوفيق من الله وسداد واختيار. بل إن فكرة الإمامة عند الزيدية وشروطها الأربعة عشر شرطا التي تحدد معايير متميزة وفريدة للإمام هي تجسيد للبطولة التاريخية التي تصنع الأحداث، وتنشئ المتغيرات، بتأييد الله وتيسيره، الذي كثيرا ما تتدخل معه العناية الإلهية لتزويده ببعض الكرامات، التي يسميها المؤلف بـ"الآيات"، التي تشير إلى فضله، وتشهد بإمامته، بحسب ثقافة المؤلف؛ فهو الذي – على سبيل المثال – يعثر أصحابه على "بؤيرةٍ [مؤنث لمصغّر البئر] صغيرة قد التف عليها الشجر"، في منطقة من المناطق، بينما لم يكن أهلها هناك يعرفونها من قبل[215]، وهو الذي إذا دعا الله فإن الله يستجيب دعاءه، ويهلك أعداءه[216].

وفي سبيل إثبات هذه الفرادة التاريخية لبطولة الإمام الهادي إلى الحق التاريخية وحجم الإنجاز المتميز فقد كان يستخدم في بعض الأحيان منهجية المقارنة؛ إذ عقد مقارنات تاريخية بين إنجازات الإمام الهادي بعد وصوله اليمن مع بعض الظروف السابقة لمجيئه[217].

وقد كانت أضواء السيرة مسلطة على الإمام الهادي إلى الحق وأحداثه وعلى المجتمع والعناصر الأخرى ولكن بقدر ما ترتبط من العلاقة مع الهادي إلى الحق.

–التفسير الإسلامي للتاريخ: ظهر التفسير الإسلامي للتاريخ جليا في بعض الأحداث التي ذكرها؛ إذ تتدخل العناية الإلهية في إنزال الأمطار، عندما يتحقق العدل، وقد قال: "فهذه علامات البركة، وكذلك يروَى

(209) أثافت: بلدة قديمة خاربة كانت في عصر الهمداني مسكن آل ذي كبار ووادعة، وعدادها اليوم في دمّاج بني قيس، في مديرية بني صريم، محافظة عمران. الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص114– 115، والمقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، مج1، ص24.

(210) العلوي: السيرة، ل35/ أ.

(211) العلوي: السيرة، ل31/ أ، 36/ أ، 37/ أ.

(212) العلوي: السيرة، ل33/ أ– 33/ ب.

(213) العلوي: السيرة، ل66/ أ.

(214) العلوي: السيرة، ل12/ أ، 20/ ب.

(215) العلوي: السيرة، ل11/ ب، 70/ ب.

(216) العلوي: السيرة، ل61/ ب.

(217) العلوي: السيرة، ل29/ ب– 30/ أ.

أنه إذا ظهر العدل نزل القطر، فأظهر يحيى بن الحسين من العدل ما لم نر في عصرنا هذا"[218]، وهذا ليس غريبا على مؤرّخ ينطلق من منطلقات قرآنية وإسلامية تؤمن بالغيب الإلهي والقدرة الغيبية المطلقة.

–التعريف: اعتمد في أحايين كثيرة منهج التعريف بشكل مختصر جدا، فقد عرَّف كثيرا من القبائل اليمنية، فعلى سبيل المثال، يقول: "ضاة من بلاد شاكر"، ثم يقول معرِّفا لشاكر: "وهم قوم من همدان"(219)، وقد يعرِّف بعضَ البلدان أو يصفها مثل قوله: "وسحة وسط جبالٍ وعرة خشنة لم يسلكها من السلاطين

أحد"(220). و"بَرَط وهي أيضا من بلد شاكر"، "وهو جبل عظيم شاهق وعر لم يدخله سلطان قط"، "وأهله خلق عظيم من همدان من شاكر، يقال لهم: دهمة"(221). و"عيان، وهو بلد لبني سلمان". و "أسِل من بلد خولان"[222]، و"البقعة قريبا من صعدة"[223]. ويأتي هذا التعريف في مواطن كثيرة ليبين أهمية الحدث أو إنجازه على كثرة الصعوبات التي كانت تحفُّه.

وقد يعرِّف الأشخاص من أتباع الإمام الهادي إلى الحق فيقول مثلا: "وقد كان ولّى أثافت رجلا من خيار المسلمين عالما بتوحيد الله وعدله، متفقها في دين الله، ورعا فاضلا، يسمى عبد العزيز بن مروان من أهل البحرين، يكنى أبا عمر"[224]، ويقول في موضع آخر: "الحسين بن أبي العباس، وكان أبوه من سادات خولان وكبارها وأهل الرياسة منها"[225]. و"أحمد بن الضحاك، قاضي همدان، وفقيهها، وعالمها، والمقصود إليه في ذلك وفي كل ما يحتاجون إليه من حلال أو من حرام"[226]. وقد يعرِّف بعضَ أعلام خصومه فيقول: "أبو الوجيه، وكان من رجالهم وصناديهم، وهو رئيس من رؤسائهم، يعرف بالشجاعة والرُّجْلَة"[227]. وقد يعرِّف بعض العبارات مثل: "قضب، والقضب هو القت"، و"الغيل بلغة أهل الحجاز: العين"[228]، ومع ذلك فقد ترك كثيرا من الأشياء بدون أن يُعَرِّفَ بها.

–الشعر: أورد الشعر في سياقاته التاريخية بالشكل الذي أضاف على الحدث بُعْدًا وجدانيا ودعائيا وإعلاميا؛ إذ كان الشعر أهم وسيلة إعلامية وتعبوية في ذلك العصر، وكذلك وظّف الوثائق السياسية في مظانها بشكلٍ جعل كتابه ذا طابع وثائقي مميّز.

–التوازن بين المعاني والألفاظ: ممَّا يُحْمَدُ في الكتاب أن عباراته كانت تتطابق مع المعاني التي يريدها المؤلف، وكان يستخدم طريقة متوازنة بين الإطناب والاختصار، راعت هدفه من إيراده هذه الأحداث التي تبرهن على حسن سيرة الإمام الهادي إلى الحق، إلا أنه كان يَضْرِبُ صفحا عن تكرار بعض المضامين أو كان يرى عدم جدوائية لسردها، فيشير إلى كثرتها بقوله: "سمعت جماعة يذكرون أحاديث شبها بهذا غير أن ذكرها يطول"، "وكذلك آل طريف لو قصصنا أمرهم رجلا رجلا لطال بذلك الكتاب"، "ثم وعظ الناس

(218) العلوي: السيرة، ل12/ ب.
(219) العلوي: السيرة، ل24/ أ.
(220) العلوي: السيرة، ل24/ ب.
(221) العلوي: السيرة، ل25/ ب، 26/ أ.
(222) العلوي: السيرة، ل42/ أ.
(223) العلوي: السيرة، ل36/ ب.
(224) العلوي: السيرة، ل30/ أ.
(225) العلوي: السيرة، ل42/ أ.
(226) العلوي: السيرة، ل46/ ب.
(227) العلوي: السيرة، ل57/ أ.
(228) العلوي: السيرة، ل13/ ب، 34/ أ.

وأعلمهم بما يجب عليهم، وتكلم بكلام يطول شرحه"[229].

-الصدق ودقة المعلومات: يبدو واضحا من خلال كثير مما ورد في كتابه هذا أنه كان يتوخَّى الصدق والدقة في معلوماته، ويتضح ذلك من إيراده بعض المعلومات التي لم يكن إيرادها في صالح موقف الإمام الهادي إلى الحق، أو صاحب السيرة نفسه، فهو يذكر أن الإمام الهادي إلى الحق ضرب رجلين أدَبًا لهما لاختلائهما بامرأتين، "وكانا من جنده وأصحابه"[230]. وذكر أن أباه خرج من وسحة "مستخفيا ماشيا على قدميه" لما تمرّد عليه أبو الدغيش الشهابي مرة ثانية(231). وأن أعرابا كانوا في جيش الإمام الهادي لا همَّ لهم إلا الطمع(232). ولم يتردّد في ذكر هزيمة جيش الإمام الهادي إلى الحق أو ذكر خسائره فيقول مثلا: "وانصرف [أي الهادي] إلى الحَضَن، وقد نيل من أهل الحصن منالا عظيما، ونيل من عسكره قريبٌ من ذلك، وقُتِلَ في الكل قتلا غير قليل"[233].

وتتضح مصداقيته أكثر حيث نجده يسبغ الثناء على خصوم الإمام الهادي إلى الحق، فيقول عن أبي الوجيه الحارثي: "وكان من رجالهم وصناديدهم، وهو رئيس من رؤسائهم، يُعْرَفُ بالشجاعة والرُّجْلة"[234]، وقوله: "وقُتِلَ من أصحاب دعام رجل من الصَّيَد ذكروا أنه كان شجاعا"[235]، وقوله عن بعض حصون بني الحارث إنه كان فيها: "خيار القوم ورجالهم"[236]، وكان يقصد أهل الشجاعة والبأس فيهم.

وقد اتبع منهجية دقيقة في ذكر الأرقام ووصْفِ الأحداث، وإذا ذكر رقما لم يطمئن إليه فإنه يعزوه إلى غيره، فقال: "فاجتمع لهم ذلك عسكر عظيم، وذُكِرَ أنهم كانوا عشرين ألفا"[237]، لكنه حين يتأكّد من معلوماته يقول: "حدثني من أثق به أن عسكرهم كان في ذلك اليوم زهاء اثني عشر ألفا ما بين فارس وراجل"[238].

-انحيازه لقضيته ولإمامه الهادي إلى الحق: مع ما تقدّم من مصداقية المؤلف إلا أنه كان دائما يقف إلى صف الإمام الهادي إلى الحق وينحاز إليه بشكل واضح، مهاجما خصومه، ويحشد له المناقب والفضائل، ويرمي أعداءه بالمثالب، كما يؤخَذ عليه أنه قد يسكت عن ذم الشخص حيث يكون موقفه من الإمام الهادي إلى الحق إيجابيا، كما كان الحال مع صعصعة بن جعفر العلوي، فقد سكت عنه عند إعلانه موالاته للإمام الهادي إلى الحق، لكنه بمجرد أن تحوَّل إلى صف أعدائه، أجلب عليه بالاتهامات، وقال: "رجلا سفيها من أهل ريدة"، "وكان يأكل أهل البون ظلما وجورا، وكان يأخذ بعض النساء للفجور، وكان يشرب الخمور"، "وكانت في نفسه بلية عظيمة"[239].

(229) العلوي: السيرة، ل21/ أ، 71/ أ، 78/ ب.
(230) العلوي: السيرة، ل39/ أ.
(231) العلوي: السيرة، ل38/ أ.
(232) العلوي: السيرة، ل32/ أ.
(233) العلوي: السيرة، ل55/ أ.
(234) العلوي: السيرة، ل57/ أ.
(235) العلوي: السيرة، ل30/ ب.
(236) العلوي: السيرة، ل55/ أ.
(237) العلوي: السيرة، ل81/ أ.
(238) العلوي: السيرة، ل78/ ب- 79/ أ.
(239) العلوي: السيرة، ل75/ أ.

وعلى خلاف ذلك فقد أبقى معلومات سيئة عن الدُّعَام بن إبراهيم الأرحبي وممارسات جنده وفسادهم، وصرّح بها، وهو الذي انتهى أمره بأن يكون من أولياء الإمام الهادي إلى الحق وأنصاره. بينما حينما ذكر أحمد بن محمد بن الضحاك الحاشدي، أثنى عليه ثناء بالغا، ولما مرّ الحديث عن ذكر مواقفه السلبية أجمل ذكره في بعضها بقوله: "غير أنّ بعض الناس ذَكَر أنّ قوما في خيوان وجَّهوا إليهم في ذلك، وألَّبوهم، وأفسدوهم"[240]، وكان يقصد بذلك ابن الضحاك هذا. بل وقعت فجوات عند الحديث عن هجوم ابن الضحاك على خيوان وعلى أبي القاسم محمد ابن الإمام الهادي حين كان فيها[241]، فهل لبقاء ابن الضحاك بعد حياة المؤلف وتحوُّلِ موقفه إلى صف ابني الإمام الهادي إلى الحق أثرٌ في تعديل بعض العبارات عنه في السيرة وطمس بعض أحداثه.

إن ذلك يبقى احتمالا واردا.

-لعن من مات مصرا على شدة الخصومة ضد الإمام الهادي إلى الحق: مع ما كان يبدو به كتابه من إنصاف للخصوم وذكر إنجازاتهم وانتصاراتهم إلا أن المؤلف بدا منه في حالات نادرة الإفساحُ لعاطفته بإلحاق دعاء (لعنه الله)، أو (لا رحمه الله)، لبعض خصوم الإمام الهادي إلى الحق[242]، ولكن ليس لجميع خصومه ولكن لمَنْ سُجِّلَتْ لهم مواقف متشددة ضد الإمام الهادي إلى الحق وأتباعه وماتوا على ذلك، وكان أكثر أولئك الخصوم الذين تلقوا تلك الدعوات (إبراهيم بن خلف بن طريف).

-أسماء بدون ألقاب: لقد مثلت السيرة روح عصرها في أنها لم تستخدم ألقابا للأعلام الذين ورد ذكرهم فيها، بل تذكرهم بأسمائهم خالية عن أي لقب أو صفة، بل حتى الإمام الهادي إلى الحق نفسه، كانت تُطْلِقُ عليه لقب "الهادي"، أو "يحيى بن الحسين" فقط، وأما من عداه فقد كان يُذْكَر باسمه، فيقول: "محمد بن سليمان الكوفي"، "محمد بن عبيد الله"، "محمد بن سعيد اليرسمي"، "عبد الله بن الحسين"... إلخ.

-التركيز على الإمام الهادي إلى الحق: خصص المؤلف كتابه للإمام الهادي إلى الحق وتحركاته، ولهذا لم يحدث أن تفاعل مع أيّ حدث خارج اليمن، أو حتى خارج موضوع الإمام الهادي إلى الحق إلا بالقدر الذي يتصل بسيرته وأخباره.

وأخيرا لم يورد المؤلف الأحداث الغريبة ولا الظواهر الطبيعية التي استهوت المتأخرين، وحرصوا على تسجيلها لإثارة القارئ ودهشته.

وبناء على ما سبق فإنه يتضح من خلال استقراء سيرة الإمام الهادي إلى الحق أن مؤلفها علي بن محمد العلوي قد انتهج منهجًا تاريخيًّا أصيلًا يجمع بين التوثيق والرواية المباشرة والتحليل الواعي للحدث، فقد التزم بالإسناد والتعليل التاريخي، مع نزعة واضحة للصدق والدقة في النقل. وتميّز منهجه بالترتيب الزمني المتسلسل للأحداث، وبالتركيز على شخصية الإمام الهادي إلى الحق بوصفه المحور الذي تدور حوله الوقائع، كما أظهر المؤلف وعيًا فنيًا ومنطقيًا في بناء الحدث وربطه بعلله وأسبابه، مع توظيف الشعر والوثائق لإغناء السرد التاريخي وإكسابه طابع الموثوقية. وعلى الرغم من انحيازه الفكري والعقدي للإمام الهادي إلى الحق، فإن عمله يُعدّ نموذجًا مبكرًا

(240) العلوي: السيرة، ل45/ ب.

(241) العلوي: السيرة، ل48/ ب.

(242) العلوي: السيرة، ل24/ ب، 38/ ب، 55/ أ، 72/ أ، 74/ أ، 85/ أ، 116/ ب، 133/ أ، 134/ أ.

لكتابة التاريخ التحليلي في الفكر الزيدي، يجمع بين التدوين الموضوعي والالتزام الإيماني بقضية الإمامة.

**المطلب الخامس: تقييم منهجه التاريخي:**

من خلال تحليل السيرة ومنهجها – كما جرى عرضه في المطلب السابق – يمكن استخلاص مجموعة من السمات المنهجية الدقيقة التي تؤسس لما يُشبه مدرسةً تاريخية مستقلة في الفكر التاريخي الزيدي اليمني، وتتلخّص على النحو الآتي:

1–الاعتماد على الإسناد والرواية المباشرة: حيث التزم مؤرخنا العلوي في أغلب رواياته بصيَغ النقل الموثوقة، مثل: حدَّثني، أخبرني، سمعت، قال أبي، قال محمد بن سليمان...، وهي صيغٌ مأخوذة من تقاليد المحدثين، ما يدل على أنه تعامل مع الحدَث بروح المحدِّث المؤرِّخ، ملتزمًا بتوثيق مصادره وبيان درجات الثقة فيها. ويكتسب مؤلفه طابع الوثائقية من حيث أنه اعتمد على الرواية المباشرة والمشافهة مع التوثيق بالإسناد، وجمع بين المصادر المكتوبة، منها (كتاب الكوفي) ومشاهداته الشخصية.

2–التحقق من الروايات وتنقيحها: حيث لم يكن مؤرخنا العلوي ناقلًا سلبيًا للروايات، بل مارس نقدها الداخلي، فكان يُفاضل بين الروايات، ويختار ما يراه أقرب إلى الواقع والمنطق التاريخي، فيقول مثلًا: حدّثني من أثق به، أو ولقد سمعت من أثق به، أو بلغنا عن الثقات، وهذا النهج النقدي في اختيار المرويات يدل على نضجٍ مبكرٍ في التفكير التاريخي داخل الفكر المنهجي الزيدي اليمني.

3–المنهج التحليلي التعليلي: لم يكتف مؤرخنا العلوي بالسرد، بل علّل الوقائع التاريخية، وربط الأسباب بالنتائج، وفسّر سلوك الأفراد والقبائل بالعوامل الاجتماعية والسياسية والطبيعية. فقد علّل – كما مرّ لنا – مثلًا استدعاء اليمنيين للإمام الهادي إلى الحق بأنهم «عضّهم البلاء»، وعلّل تراجع بعض الجيوش، ومنها جيش الإمام الهادي إلى الحق، بعوامل الجغرافيا والمناخ، ما يجعله من أوائل من استخدموا التعليل الاجتماعي والطبيعي للأحداث في الكتابة التاريخية الإسلامية.

4–الترتيب الزمني المتسلسل للحدث: لقد اتّبع المؤلف ترتيبًا دقيقًا للأحداث بحسب تسلسلها الزمني، ودوّن بعضها باليوم والشهر والسنة، من سنة 283هـ إلى 295هـ، وهو ما يقرّبه من المنهج الحولي، لكنه لم يتقيّد به شكليًا؛ إذ جعل محور السيرة هو الإمام الهادي إلى الحق نفسه، فكلُّ حدث مذكور في السيرة كان يجب أن يدور حوله، مما يقدّم منهجًا موضوعاتيًا ذا بُعْدٍ زمني متداخل، وهذا يشير إلى ذوق فنّيٍّ متقدِّم – بالنسبة لعصره– حيث مزج بين المنهجين بطريقة خدمت موضوعه وأهدافه من تأليف هذا الكتاب.

5–المزج بين التوثيق والتحفيز الدعوي والإرشادي: إذ لم يكن المؤرخ العلوي مؤرخًا محايدًا منبتًّا عن قضيته، بل كان يحمل رسالة فكرية وسياسية واضحة، وهي الدفاع عن إمامة الإمام الهادي إلى الحق وإثبات شرعيتها، ومع ذلك، لم يمنعه هذا الانتماء من توخّي الصدق وذكر ما لا يخدم دعاية الإمام الهادي إلى الحق أحيانًا، مثل الهزائم أو تجاوزات بعض جنده، مما يكشف عن توازنٍ بين الموضوعية والانتماء العقدي، كما أنه ربط في كتابه هذا بين النظرية السياسية (الإمامة النظرية) والتطبيق الميداني لها (السيرة الميدانية)، فجعل السيرة بوصفها التطبيق

العملي للنظرية السياسية الإسلامية، وهذا يجسد مفهوم "السيرة" بمعناها الفقهي العملي.

6-الاستطراد الموضوعي والربط بين الأحداث: اتَّسم أسلوبُ مؤرِّخنا العلوي – كما مرّ لنا – بالاستطراد الذكي؛ فإذا ذكر حادثة لها امتدادٌ فقهي أو روحي أو سياسي، توسّع فيها بما يخدم الفكرة الرئيسة لديه. لقد كان ذلك الاستطراد نابعًا من منهجٍ تربوي دعويٍ، يجعل الحدث التاريخي منطلقًا للعظة والفهم، لا مجرد خبرٍ.

7-التفسير الإيماني للتاريخ: يؤمن العلوي أن العدل سبب لنزول البركة والمطر، وأن النصر والهزيمة خاضعان لسنة الله في نصرة أوليائه؛ فالتاريخ عنده ميدانُ تجلٍّ للعناية الإلهية، وليست جميع أحداثه نتيجة تفاعلات عوامله وأسبابه المادية؛ مما يجعل منه مؤرخًا ذا رؤية توحيدية قرآنية، لا مادية بحتة.

7-استخدام المصادر الموثَّقة والأدوات الأدبية: لقد أكثر العلوي من توظيف الشعر والوثائق السياسية في نصّه، فكان للشعر وظيفة توثيقية وجدانية، تعكس روح الحدث، وهو ما يجعله رائدًا في الدمج بين التاريخ والأدب السياسي.

9-مقارنة منهجه بمناهج بعض معاصريه: بمقارنة منهجية المؤرخ العلوي يلاحَظ أنه يتقاطع مع كبار مؤرخي القرن الثالث والرابع الهجريين، مثل الطبري (ت310هـ/ 923م) في الالتزام بالإسناد والتوثيق، لكنه يتميز عنه في أن أبرز ما يميز منهجه هو أنه تجاوز نقل الرواية – كما هو الحال عند الطبري – إلى تفسيرها وتعليلها إلى حد جيد، كما أنه ضمّن النصَّ روحَ التحليل التاريخي والنقد الداخلي، وهو ما يشكّل تطورًا نوعيًّا في الكتابة الزيدية اليمنية، كما أنَّ العلوي أدخل إلى الكتابة التاريخية البعد الإيماني التربوي الذي غاب غالبًا عن مؤرخي المشرق العباسيين، بالإضافة إلى أنه لم يكن مجرد جامع للروايات من مصادر مكتوبة أخرى، بل يتميز عن كثير منهم بأنه جمع بين الرواية الميدانية – التي كان يجمعها من ميدان الأحداث – والتحليل الاجتماعي والسياسي أيضا.

لذا يمكن القول: إن العلوي شكّل حلقة وصل بين المؤرخ الراوي والمؤرخ المفكّر، ووضع الأساس لما يمكن تسميته بالمدرسة التحليلية الزيدية اليمنية في كتابة التاريخ.

**المطلب السادس: الدروس والعبر المستفادة من هذا المبحث:**

من دراسة هذا المبحث وما يحمله من أبعاد فكرية وتاريخية، يمكن استخلاص جملة من الدروس والعبر ذات القيمة العلمية والتربوية والمنهجية:

1- الأمانة العلمية والصدق في النقل: لقد حرص العلوي على التثبت من الأخبار، وإيراد الرواية بسندها، وإعلان ثقته بالرواة، مما يقدّم نموذجًا للمؤرخ الأمين الذي يقدّم الحقيقة على الهوى. وهذا يبين أهمية التوثيق والدقة، وضرورة الاعتماد على المصادر الموثوقة والإسناد. والدرس الذي يجب أن نستفيده – في عصرٍ يبدو فيه اختلاق الأحداث والمواقف وفوضى المعلومات ظاهرة شائعة – هو: أن الباحث الحقّ لا يكتب ما يرضي السلطة، أو الجمهور، بل ما يرضي ضميره العلمي، ولا يشترط أن يكون المؤرخ محايدًا بل يجب أن يكون صادقًا، كما يبين أهمية الصدق في النقل حتى عند تعارض المعلومة مع الميول الشخصية.

2- الجمع بين الإيمان والعقل في تفسير التاريخ: لم يكتف المؤرخ العلوي بالتفسير الغيبي، ولم يغفل الأسباب المادية والاجتماعية، بل جمع بين فقه السنن الإلهية والأسباب الواقعية، فالتاريخ عنده تفاعل بين

الإرادة الإلهية وسعي الإنسان، والدرس الذي يجب أن يستوعَب اليوم هو أنه: لا انفصام بين الغيب والعقل، فالمؤمن الواعي يدرك سنن الله في التاريخ ويعمل وفقها.

3- الوفاء للقيم والرجال: لقد كانت سيرته تجلّيًا للوفاء لإمامه الهادي إلى الحق، لكنه وفاء عقلٍ لا تعصب؛ إذ لم يتردد في ذكر أخطاء بعض أنصاره أو إخفاقات دولة إمامه في بعض الوقائع. والعظة هنا هي: الوفاء الصادق هو الذي لا يلغي النقد، بل يطهّره من الغرض السيء ويجعله بناءً.

4- جعل التاريخ أداةً للهداية لا التسلية: إذ لم يكتب العلوي هذه السيرة للتسلية أو المتعة الأدبية، بل ليهدي الأمة إلى الاقتداء بسيرة إمامها، وليقدّم نموذجًا للإدارة العادلة والجهاد الواعي، وهو هدف نبيل بحد ذاته. والدرس الذي يجب أن يستفاد هو أن: كتابة التاريخ يجب أن تكون وسيلة لبناء الوعي وصناعته، لا مجرد تسجيلٍ باهت وجامد للأحداث.

5- النزاهة الفكرية والبعد عن المبالغات: على الرغم من ميل العلوي وتعصبه للإمام الهادي إلى الحق، فلم يسلك مسلك المبالغة أو الأسطرة، بل أبقى الحدث التاريخي في حدوده الواقعية والمقبولة إلى حد كبير بمقاييس ذلك الزمن، مما يعلّم القارئ فضيلة التوازن بين الحبّ والحقّ.

6- احترام العقل والتحليل النقدي: حيث مارس العلوي نقدًا مبكّرًا للروايات، واستنتج منطقيًّا ما يناقض الظواهر النصية، مما يقدّمه كقدوة للمفكر والباحث المسلم في إعمال العقل لخدمة النص لا لمعارضته.

إنّ المنهج التاريخي للعلوي في سيرة الإمام الهادي إلى الحق يمثّل نقلة نوعية في الوعي التاريخي الإسلامي عموما واليمني الزيدي خصوصا؛ إذ نَقَل الكتابة من طور الرواية السردية إلى التحليل الهادف والتوثيق الناقد، جامعًا بين الدقة الحديثية والبصيرة الاجتماعية. أما العبرة الكبرى من سيرته فهي أنَّ التاريخ رسالة إيمانية لبناء الوعي، وأن المؤرخ الحقيقي هو من يعيش فكرته ويكتبها بضميرٍ حيٍّ وإيمانٍ صادقٍ وعقلٍ منفتحٍ.

**الخاتمة**

في ختام هذا البحث يمكن تلخيص أبرز النتائج التي توصل إليها وأبرز التوصيات التي تمليها هذه النتائج على النحو الآتي:

**أولا- النتائج:**

1-أثبت البحث بالأدلة النصية الداخلية والشواهد الخارجية في المصادر الزيدية المتقدمة، وبحضور شخصية العلوي البارز في معظم فقرات الكتاب أنّ مؤلف سيرة الإمام الهادي إلى الحق بصورتها الراهنة هو علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي، أمّا القاضي محمد بن سليمان الكوفي فمصدرٌ رئيس، نَقَل عنه العلوي بالنصّ والإسناد.

2-أسّست سيرة العلوي لنقلةٍ نوعيةٍ في فنّ السير بدمجها بين المنحى الفقهي العملي والمنهج التاريخي التوثيقي، بما جعلها نموذجًا مبكرًا للتاريخ التحليلي في المدرسة الزيدية، كما شكّلت مصدرًا أوليًا وأساسيا لتاريخ اليمن بين عامي 283-295هـ، وأعطت معلومات مهمة في دراسة التحولات السياسية والمذهبية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الحقبة.

3-كشفت الدراسة عن شخصية العلوي كشخصية مركّبة جمعت بين العلم والجهاد والإدارة؛ فكان عالمًا فقيهًا، وقائدًا عسكريًّا مُحنّكًا، وإداريًّا ناجحًا تولى

مناصب قيادية في دولة الإمام الهادي إلى الحق، كما كان شاعرًا فصيحًا، وقد صاغت هذه التجارب الثرية رؤيته التاريخية وأهّلته لأن يكون شاهد عيانٍ موثوقًا.

4-تميَّز وعي العلوي التاريخي بأنه وعيٌ رساليٌّ، لم يكن هدفه مجرد التوثيق، بل إثبات شرعية الإمام الهادي إلى الحق ومشروعية دولته، وتقديمه كامتداد لسيرة جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل البيت، وقد تشكّل هذا الوعي في بيئة المدينة المنورة التاريخية.

5-رجّح البحث، بناءً على تحليل الأحداث والشواهد الجغرافية، أن العلوي توفي متأثِّرًا بجروح أصيب بها خلال قيادته للجيش الهادوي في مواجهة القرامطة حول صنعاء عام 297هـ، ودفن في خيوان، وهو ما يتسق مع رثاء الإمام الهادي إلى الحق له؛ الأمر الذي ينفي رواية استمرار حياته إلى عهد الإمام الناصر أحمد.

6-توصّل البحث إلى أن منهج العلوي في كتابه تميّز بعدة خصائص، أهمها:

أ-الاعتماد على مصادر متنوعة: جمع بين المصادر الشفوية المباشرة (شهود العيان)، والروايات المسندة (عن الكوفي وأبيه)، والتجربة الشخصية.

ب-الدقة والموضوعية: حرص على توخي الصدق والدقة في نقل المعلومات، فسجّل الهزائم كما سجل الانتصارات، وأثنى على شجاعة الخصوم، مما يضفي مصداقية عالية على روايته.

ت-التحليل والتعليل التاريخي: لم يقتصر على سرد الأحداث، بل حاول تفسيرها وتحليل أسبابها ونتائجها، معتبرًا العوامل الجغرافية والاجتماعية والسياسية.

ث-الترتيب الزمني المتسلسل: التزم بتسلسل الأحداث زمنيًّا بطريقة فنية راعت التفاعل بين الأسباب والنتائج، وإن لم يلتزم بالمنهج الحولي بشكل صارم.

ج-الوضوح والأسلوب السلس: تميزت لغته بالفصاحة والوضوح والبعد عن التكلف.

ح-توظيف الوثائق والشعر: أدخل الوثائق السياسية والشعر بشكل عضوي في سياق السرد التاريخي، مما أضاف بُعدًا وثائقيًّا ووجدانيًّا وإعلاميا للعمل.

خ- اعتمد المؤلف روايةً واحدةً مُنتقاة مدعومة بالإسناد والشهود المباشرين، مع ميلٍ واضح إلى مركزية البطل (الإمام الهادي إلى الحق) دون إغفال لنقد الذات وذكر بعض الهنات.

**ثانيا: التوصيات:**

يوصي الباحث بـ:

1-إجراء دراسة تحليلية لتتبع أثر سيرة العلوي في المصادر التاريخية اليمنية والزيدية اللاحقة، مثل الإكليل للهمداني، وسير الأئمة، وغيرها؛ لتقييم مدى اعتمادها عليه وتأثرها بمنهجه.

2-إجراء دراسات مقارنة بين منهج العلوي في كتابه هذا ومناهج مؤرّخين آخَرين معاصرين له أو لاحقين، سواء في اليمن أو في الأقطار الإسلامية الأخرى، للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف والخصوصية.

3-إيلاء مزيد من الاهتمام بدراسة التراث التاريخي اليمني بشكل عام، والمدرسة التاريخية الزيدية بشكل خاص، والكشف عن المؤرخين المغمورين ونصوصهم المحقَّقة، بما يسهم في كتابة تاريخ اليمن الحضاري بصورة أكثر شمولاً واتزانًا.

**المصادر والمراجع**

[1] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، أبو الحسن الجزري، (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997م.

[2] الأصفهاني، الحسين بن محمد، الراغب (ت502هـ): مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق.

[3] الأفغاني، سعيد: في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/ 1987م.

[4] البخاري، سهل بن عبدالله، أبو نصر (كان حيا سنة 340هـ): سر السلسلة العلوية في أنساب السادة العلوية، المطبعة الحيدرية، النجف، 1381هـ/ 1962م.

[5] بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبدالحليم النجار، ط3، دار المعارف، القاهرة.

[6] الجهاز المركزي للإحصاء، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجمهورية اليمنية:

a) التعداد العام ديسمبر 2004م، محافظة صعدة، نسخة إلكترونية.

b) التعداد العام 2004م، محافظة عمران، نسخة إلكترونية.

c) خريطة مديريات وعزل محافظة إب، نسخة إلكترونية.

d) خريطة مديريات وعزل محافظة الجوف، نسخة إلكترونية.

[7] الحبشي، عبدالله محمد: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1425هـ/ 2004م.

[8] الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

[9] الحميري، نشوان بن سعيد (ت573هـ):

[10] الحور العين، تح: كمال مصطفى، دار آزال، بيروت، المكتبة اليمنية، صنعاء، ط2، 1985م.

[11] ديخويه، ميكال يان: القرامطة، تر: حسني زينه، دار ابن خلدون، ط1، 1978م.

[12] الرازي، محمد بن عمر، فخر الدين (ت606هـ): الشجرة المباركة في أنساب الطالبية، تح: مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي، قم، ط2، 1419هـ.

[13] الربعي، مفرح بن أحمد (ق5هـ): سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تح: رضوان السيد، وعبدالغني عبد العاطي، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م.

[14] ابن أبي الرجال، أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت1092هـ): مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تح: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، صعدة، ط1، 1425هـ/ 2004م.

[15] روزنثال، فرانز: علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1403هـ/ 1983م.

[16] الزحيف، محمد بن علي بن يونس، المعروف بابن فند (كان حيا في 916هـ): مآثر الأبرار في تفصيلات مجملات جواهر الأخبار، تح: عبدالسلام الوجيه، وخالد المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ط1، 1423هـ/ 2002م.

[17] الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

[18] زيد بن علي، الإمام زيد بن علي، (ت122هـ): مسند الإمام زيد، دار الكتب العلمية، بيروت.

[19] سزكين، فؤاد: تاريخ التراث العربي، ترجمة: محمود فهمي حجازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ/ 1991م.

[20] سليم، عبدالفتاح: اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1409هـ/ 1989م.

[21] سيد، أيمن فؤاد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1974م.

[22] الشامي، أحمد بن محمد: تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، منشورات العصر الحديث، بيروت، ط1، 1407هـ/ 1987م.

[23] الشرفي، أحمد بن محمد (ت1055هـ):اللآلئ المضيّة، مخطوط موجود بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، لدي صورة إلكترونية.

[24] ابن طباطبا، إسماعيل بن إبراهيم بن ناصر (ق5هـ): منتقلة الطالبية، تح: محمد مهدي الخراسان، المطبعة الحيدرية، النجف، ط1، 1388هـ/ 1968م.

[25] الطبري، إسحاق بن يحيى بن جرير الصنعاني (ت نحو 450هـ): تاريخ صنعاء، تح: عبدالله الحبشي، مكتبة السنحاني، صنعاء.

[26] العلوي، علي بن محمد العباسي (ت297هـ):

a) سيرة الإمام الهادي يحيى بن الحسين، مخطوط، نسخة (الأصل) وقف على مسجد شهارة، يوجد منها صورة في مكتبة مؤسسة الإمام زيد بن علي الرقمية، في 147 لوحة، تاريخ النسخ 1069م.

b) سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، مخطوط، نسخة (ذ)، سميتها كذلك نسبة إلى مالكها القاضي العلامة محمد بن عبد الهادي ذعفان، حصلْتُ عليها من مكتبة علي أميري في أسطنبول، وهي ذاتُ النسخة التي اعتمد عليها الدكتور سهيل زكار في نشره للكتاب، وقد نسِخَتْ يومَ الأربعاء 23 جمادى الأولى سنة 1086هـ، وتقع في 59 لقطة.

c) سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، مخطوط، نسخة (ط)، سميتها كذلك، نسبة إلى مالكها (أبو طالب)، وهي موجودة في دار المخطوطات برقم (2575)، تقع في 216 لقطة، تاريخ النسخ 1017هـ.

d) سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، مخطوط، نسخة (ي) سميتها كذلك نسبة إلى مالكها حي السيد العلامة يحيى بن علي الذارحي، تعود إلى القرن السابع الهجري وما قبله، وأولُها حتى لقطة (22/ أ) أوراق عثمانية، كتبت بتاريخ 10 ربيع الأول، لعله في عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (ت1087هـ/1676م)، عن نسخة للسيد العلامة الأمير محمد بن الحسن بن القاسم (ت1079هـ/1668م)، وتقع في 141 ورقة.

[27] علي بن بلال، أبو الحسن الآملي (ت ق4هـ): تتمة المصابيح، طبع ضمن المصابيح، تح: عبدالله بن عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمّان، ط1، 1423هـ/ 2002م.

[28] العمري، حسين عبد الله: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دار المختار للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1980م.

[29] العمري، علي بن محمد، ابن أبي الغنائم العلوي (ق5هـ): المجدي في أنساب الطالبيين، تح:

أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة آية الله العظمي المرعشي النجفي العامة، قم، ط2، 1422هـ.

[30] ابن عنبة، أحمد بن علي الحسني الداوودي (ت828هـ): عمدة الطالب الصغرى في نسب آل أبي طالب، تح: مهدي الرجائي، قم، ط1، 1430هـ/ 2009م.

[31] العنسي، أحمد بن قاسم: التاج المذهب لأحكام المذهب، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1414هـ/ 1993م.

[32] فيدا، ليفي دلا: موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1418هـ/ 1998م.

[33] ابن القاسم، إبراهيم بن القاسم ابن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (ت1152هـ): طبقات الزيدية الكبرى، تح: عبدالسلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، 1421هـ/ 2001م.

[34] القلقشندي، أحمد بن علي، أبو العباس الفزاري (ت821هـ): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م.

[35] المحلي، حميد بن أحمد الوادعي (652هـ): الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تح: المرتضى بن زيد المحطوري، مكتبة بدر، صنعاء، ط1، 1423هـ/ 2002م.

[36] المرتضى، أحمد بن يحيى، المهدي (ت840هـ): البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، تصوير في 1409هـ/ 1988م عن الطبعة الأولى في 1366هـ/ 1947م.

[37] المرتضى، محمد بن يحيى بن الحسين، أبو القاسم (ت310هـ): مجموع كتب ورسائل الإمام المرتضى، مسائل عبد الله بن الحسن، تح: عبدالكريم جدبان، مكتبة التراث الإسلامي، صعدة، ط1، 1423هـ/ 2002م.

[38] مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983م.

[39] المقحفي، إبراهيم:

a) معجم البلدان والقبائل اليمنية، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط5، 1432هـ/ 2011م.

b) الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، ط2.

[40] مؤنس، حسين: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م.

[41] الناصر، أحمد بن يحيى بن الحسين (ت322هـ): الرد على الإباضية، مجموع كتب الإمام الناصر أحمد، تح: عبدالكريم جدبان، ط1، 1433هـ/ 2012م.

[42] ابن النديم، محمد بن إسحاق الوراق البغدادي (ت438هـ): الفهرست، تح: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1417 هـ/ 1997م.

[43] الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين (ت298هـ):

a) الأحكام في الحلال والحرام، تح: المرتضى المحطوري، مكتبة بدر، صنعاء، ط2، 1435هـ/ 2014م.

b) مجموع رسائل الإمام الهادي إلى الحق القويم، من مسائل محمد بن عبيد الله، تح: عبدالله الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط1، 1421هـ/ 2001م.

[44] الهاروني، يحيى بن الحسين، أبو طالب (ت426هـ): الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تح: إبراهيم مجد الدين المؤيدي، وهادي حسن الحمزي، مكتبة أهل البيت، صعدة، ط2، 1432هـ/ 2011م.

[45] الهمداني، الحسن بن أحمد، أبو محمد (ت بين عامي 350 و360هـ):

a) الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1429هـ/ 2008م.

b) صفة جزيرة العرب، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط1، 1410هـ/ 1990م.

[46] الوجيه، عبد السلام عباس: أعلام المؤلفين الزيدية، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ط2، 1439هـ/ 2018م.

[47] يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القاسم (ت1100هـ): المستطاب، مخطوط بمكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور، في 219 لوحة، تاريخ النسخ 1094هـ، لدى الباحث منه نسخة مصورة.

[48] ابن يعقوب، الحسين بن أحمد بن يعقوب (ق4هـ): سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني، تح: عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط1، 1417هـ/ 1996م.